
دموع الياسمين
الكاتبة
منى سليمان
دار جهاد للنشر

منى سليمان

دموع الياسمين

(رواية)

دار جهاد للنشر والتوزيع

٢٠١٢

الكتاب دموع الياسمين

الكاتب منى سليمان

الطبعة الثانية

رقم الايداع ١٦٢٠٦-٢٠١٢

الترقيم الدولى isbn٩٧٨-٩٧٧-٥٦٨٤-٩٨-١

الناشر دار جهاد للنشر والتوزيع

إهداء

إلى أمي بحر الحنان في حياتي

منى سليمان

دموع الياسمين

(١)

خرجت القرية بـــ رجالها ونساءها وأطفالها للبحث عنى .. كنت طفلة صغيرة فى الثانية عشرة من عمرى ، خرجت من الصباح ولم أعد إلى البيت ، لم يلاحظ أحد تغيبى طيلة اليوم ، فقد كان خروجى من البيت كل يوم من الصباح المبكر أمر طبيعى ، فنحن فى عطلة نهاية العام

كذلك أنا لم يكن أحد يسأل عنى أو يهتم لأمرى ، برغم أننى لست يتيمة ، فـــ لى أب ميسور الحال ومتعلم فى قرية كان عدد المتعلمين فيها قليل ، وأم ربة بيت جميلة ومن بيت كريم ، ولى أعمام وعمات وأخوال وخالات .

كنت أقضى كل يوم فى بيت من هذه البيوت الكثيرة ، ولكننى هذا الصباح خرجت ولم أعد ، فى المساء بحثت عنى جدتى لأنام معها فلم تجدنى ، خرجت الجدة تمر

على منازل الأسرة التى تعودت أن أزورها يومياً فلم تعثر لى على أثر.

كانت جدتى تُقابل بإجابة واحدة.....

"ستعود هى هتروح فين !"

كان أخر بيت تزوره جدتى هو بيت امى التى شعرت بألم يعتصر قلبها وصرخت ابنتى أين ذهبت ؟

عندما صرخت أمى كانت هذه الصرخة هى بداية البحث عنى.

وعُرضت على أمى وجدتى إقتراحات كثيرة بكيفية البحث .

أول الإقتراحات كان أن يُنْادَى علي فى ميكرفون المسجد وقد نُفذ الإقتراح على الفور ولكن دون إجابة.

كانت قدرة أمى على الإحتمال تنهار فى كل دقيقة .. دقات الساعة تعلن العاشرة وأنا لم أعد. كان سؤال واحد يتردد على ألسنة الجميع . ترى أين ستكون وإلى أين ذهبت .هل خطفت؟ كادت أمى تُجن أما جدتى فقد عاودها آلام القلب فحُملت إلى البيت ولازمته.

الكل يبحث إلا أبى فلم يعلم أننى مختفية فقد كانت تمر الشهور ولا يرانى ، وكذلك أمى .

عندما وصلت السيارة التى يركبها أبي إلى موقف السيارات قابله دسوقى صاحب المقهى قائلا له (إذهب الى المسجد الكبير يا استاذ على فالكل مجتمعون للبحث عن إبنتك)

جن جنون أبي قال :

– ابنتى ؟ وكيف ذلك ؟ أين ذهبت ؟

كانت زوجته فى بيتها تجلس أمام التلفاز ، دخل إلى البيت وسالها ماذا حدث ؟

قالت له :

- جت مرات عمك وسألتنى على ياسمين فقلت لها مجتش ولا شفتها.

كانت نظراته قلقة وحائرة .

- هقوم أحضر لك الأكل .

- أكل إيه وبنتى مش لقيينها .

- متخافش عليها البلد كلها بتدور هترجع دى زى الجنية البرانى ، راجعة لك ولا زى مركوب أبو القاسم على رأى نعمان .

أراد أن يلطمها على وجهها فنظرت له نظرة متحديه خفض يده على الفور وسألها :

- لو كانت دى ابنتك ؟

شهقت ورفعت صوتها قائلة :

- بنتى بعد الشر لو بنتى كنت هعرف أربيها لكن دى محدش رباها ، و جدها دلعها .

خرج أبي وتركها بعد أن يأس من الحديث معها خرج يبحث مع أهل البلدة عنى وصل الجميع إلى المقابر .

قال أحد الفلاحين :

- ربما تكون جاءت إلى مقبرة جدها فكثيراً ما كانت تتردد على المقبرة ، وتجلس تحدث جدها بالساعات .

ثم خفض صوته مشفقا من هول ما سيكمل به جملته .. ربما نامت أو أصابها شئ .

سمعت الأصوات تناديني ياسمين ياسمين .... الكل ينادى وأنا صامتة ، حتى سمعت صوت أمى تصرخ منادية على : ياسمين .....!!

خرجت من القبر . وأردت أن أذهب إلى أمى ، الظلمة شديدة لا أستطيع الرؤية . لا أستطيع رؤية الأرض . لا أستطيع رؤية يدى الممدودتين أمامى . كان صوت نبضى شديداً اشعر به خلف أذنى . كان خوفى أقوى من التفكير فى أى شيئ ويحجب كل شيئ كان البرد شديد لا يجوز لى التفكير فى البرد أو الخوف . الست انا التى قررت البقاء فى القبر . إنتظاراً للموت .

إذا كانت الحياة تكراراً مملاً وإحباطاً محبطاً فسيكون الموت جميلاً . لو جاء فجأة ولم أضطر لإنتظاره وسط هؤلاء الأحياء ، منذ وفاة جدى وأنا أشعر أنى مِت ، أن جزء منى قد مات ودفن معه ، هل يجوز لمن قررت انتظار الموت التفكير فى الخوف أو فى البرد .. لكن

البرد يؤلمنى ليلة من ليالى شهر سبتمبر المؤلمة . كان الإحساس بتدفق الهواء فى انفى محملاً برائحة المقابر العطنة يزعجنى . هواء سيئ ورائحة سيئة . إمتلأ قلبي بالرعب . لا يزالون ينادوننى فتتقلص معدتى . سوف أصاب بالغثيان . لو كان فى معدتى أى طعام لتقيأته على الفور . لكنها كانت خاوية . لقد أصبحوا قريبين جداً . سيعثرون على ..

فشلت خطة هربي . أعلم أن الإنتحار حرام لم أكن أريد الانتحار أردت إنتظار الموت فقط . فــ أتيت هنا لأنتظره بعيداً عنهم . هم جميعاً معاً وأنا وحدى لقد فشلت . أعلم ما سيقولونه الآن لقد أفسدها تدليل جدها لها . حمدت الله أن الظلمة ستبتلعنى فلا يروننى لكنهم يحملون معهم ((كلوبات)) تملأ بالكيوروسين كان يستخدمها أهل الريف فى ذلك الوقت لتنير لهم عتمة الليل .

بعقد قليلا سيروننى ويعيدوننى إلى عالمهم مرة أخرى .
كانت الظلمة الشديدة تبتلع كل شيئ إلا ذلك الوجه الذى أراه أمامى الآن وتلك

العينين اللتين تشتعلان لهبا . من أين جاء أسمع صوت أنفاسه واشم رائحته ، هل هذا كلب أم ذئب ؟

لا أعلم يشبه الكلب حجمه كبير ويزمجر فى وجهى غاضباً

(هل تجاوزت حدودى وأعتديت على أملاكك هل هذا القبر ملكك إنه قبر جدى)

زمجر مرة أخرى وكأنه إستمع إلى أفكارى الخائفة جعلت هذه الزمجرة رعدة من الخوف تسرى فى ظهرى . إنه رد فعل غريزي إنه حب البقاء . ما من سبب يجعلنى أحب الإنتماء لتلك الحياة بطبيعة الحال .. جئت اتمنى

الموت وها هو يقف أمامى متحفزاً فى صورة حيوان برى سيفترسنى فى لحظات قبل وصولهم إلى .

أرى الأضواء تقترب منى أنا خائفة . لازمت مكانى ولم أستطع الصراخ حتى ينقذونى ، سمعت هسيس الخطوات تقترب شيئاً فشيئاً والأصوات تتضح أسندت ظهرى إلى حائط قبر جدى . فلتحمى ظهرى يا جدى ، كما حميتنى طيلة حياتك ، بدأت فى قراءة آيات القرآن الكريم ، تركنى الذئب وإبتعد خائفاً عندما رأى اقتراب الناس ، واصلت قراءة ما أحفظ من القرآن . كنت قد تركت حفظ القرآن منذ وفاة جدى ، قلت فى نفسي أعاهدك يا ربي أن أعود لحفظ القرآن مرة أخرى ، كنت فى هذا القبر منذ الصباح ، لا أذكر أخر مرة تناولت فيها الطعام كانت معدتى تصرخ من الجوع . لكننى دخلت المقبرة مرة أخرى لا أريدهم أن يجدوننى أنا لا أخشاهم

ولا أخشي عقابهم . لكنهم لا يريدوننى أنا أيضا لا أريدهم .

حتى أمى هذه التى تصرخ وتولول حزينة من أجلى لكننى كنت دوماً مصدر تعاستها . والشيئ الوحيد الذى يعكر صفو هناءها مع زوجها و وأولادها . رأيتهم يقتربون أردت أن أصرخ فى وجوههم ارحلوا لا أريدكم . لقد نسيتم وصية جدى ، ألم يوصيكم بى .

هذا نعمان زوج أمى يمسك يدها ويحتضنها حتى لا تسقط كم أكره هذا الرجل أكرهه أكثر مما أكره الشيطان هذا الرجل سر مأساتى .

تقدم نعمان للزواج من أمى قبل زواجها من أبي . كان يحبها فتقدم لها أكثر من مرة ، لكن جدى كان يرفضه لأنه عاطل ، وأمه تنفق عليه حتى أرضه لا يزرعها ، ولاهم له فى الحياة سوى الجلوس على المقهى .

وزوجها من أبي إبن شقيقه المتعلم ، فبعد حصول أبي على مؤهل متوسط ، أكمل تعليمه فى الجامعة ، وبرغم أنه مجند منذ حرب ٦٧ إلا أنه يزرع أرضه ، وهو علاوة على ذلك محبوب من الجميع .

لكن أمى كانت مشاعرها تنبض مع نعمان ، الذى يجيد كلمات الغزل ، ويحفظ الأغانى ، ولا يمل من ارسال الخطابات ، يرتدى جلبابه الأبيض المزهر ، ويجلس على المقهى أمام البيت ، يضع يده على قلبه متنهداً من وقت للأخر ، ظنا منه أن أمى تنظر ناحيته من خلف الشيش .

لم تستمر هذه الزيجة أكثر من ستة أشهر فلقد بدأها أمى باكية العينين ، وخرجت منها أيضاً باكية العينين ، خوفاً على الجنين المستقر فى أحشاءها ، لكن خوفها ذلك لم يجعلها تصبر وتتحمل . أما أبي فلقد كانت كرامته أيضا أهم من أن يستمر فى هذه الجيزة التى فرضت عليه كما فرضت عليها ،

كانت رغبة والده هى ما جعلته يتزوج من ابنة عمه . فى الحقيقة هو لم يكن ينوى الزواج أو يخطط له . كان يريد أن يكمل تعليمه الجامعي . ويسافر ليرى العالم لكن الحرب قد طالت وفترة تجنيده قاربت على أربعة أعوام ولا يعلم متى تنتهي . فحقق رغبة والده ، واستقبل عروسته متعجباً من دموعها ، ومن حزنها وكآبتها بين يديه ، ظن أنها ككل فتاة تخشي الزواج وترهب ليلة الدخلة ، فإقترب منها مطمئناً لكنه وجدها تنفر منه وإستمر نفورها وإعراضها عنه ، وإستمر هدوءه وصبره فهى إبنة عمه الذى يحبه ويحترمه كما يحبه الجميع ، لم يكن يقدر على الشكوى منها ، لأى شخص لكن جلسة الحشيش التى جمعته مع خليل زميله فى الجيش حلت عقدة لسانه . فأفشي سره فأخبره خليل بحب زوجته من نعمان وحب نعمان لها . لطمه على وجهها فقال خليل :

– وأنا مالى اسأل البلد كلها كل البلد عارفه انه اتقدم لها وابوها رفضه .

– أنا عارف إنه اتقدم لها واتقدم لها كتير غيره تبقي بتحبهم كلهم ؟

ضحك خليل ضحكته الصفراء :

– طبعا يا على افندى هى هتلاقى زوج زيك . ثم اكمل ابتسامته التى تعلن كذب كلامه

عاد أبي للبيت وطالب أمى أن تصارحه

فصارحته بأنها لا تحبه ولا تحب نعمان وأنها لم تكن تريد الزواج ، وكانت هذه الحقيقة فهى لم تتحدث يوماً مع نعمان أو غيره لكنها مع ذلك كانت تريده .

– يعنى يا بنت الحلال أبوكى غصبك تتجوزينى ؟

نزلت دموعها وقالت بهمس :

- لا .

- طيب مالك ليه حزينة ليه مهمومة.

لم ترد عليه لم تكن تعرف ماذا تريد كل ما كانت تعلمه أنها لا تريده لا تسترح له لا تطيق صوت أنفاسه تشعر بالسعادة عندما يسافر للجيش ، وينقبض قلبها عندما ياتى فى أجازة ، الأسبوع الذى يقضيه معها يمر كانه دهر كامل .

- طلباتك إيه وأنا أنفذها لك ردى عليه يا سامية .

إنت بنت عمى وأم ابنى ولا بنتى الجايين .

لم ترد ظلت صامته مطرقة تداعب بيدها التطريز على ملاءة السرير .

- إرفعى وشك وكلمينى زى ما بكلمك.

عايزة إية ردى ؟ عايزة تتطلقى وترجعى بيت أبوكى مهو أنا مرضاش أعيش مع واحده كارهانى .

صمتت ولم ترد

هزها بعنف وضعت يدها على بطنها كنت أتحرك فى أحشاءها ضغط على يدها أكثر فآلمتها ذراعها

– ردى عايزة تتطلقى ؟

هزت رأسها موافقة

– أسمعها منك قولى عاوزة تتطلقى قولى عاوزاك تطلقنى .

وزاد من الضغط على يدها فقالت :

– عاوزة اتطلق .

فرد من فوره : أنت طالق .

وملأ المخلة بملابسه التى لم تغسل بعد ، وعاد إلى كتيبته دون أن يودع أحد ، فى الصباح خرجت امى من البيت ، وعادت إلى بيت والدها .

وهكذا استقبلتني الحياة بعد ثلاثة أشهر من طلاقهم ولدت لأم حزينه وأب لاه لا يريد أى شيئ يربطه بهذه المرأة ولا يريد أى ذكرى لهذا الزيجة التعيسه حتى أنه عندما علم بمولدى لم يطلب رؤيتى .

لكن الله عوضنى بجدى ، أطيب قلب فى الوجود . رجل وقور ثرى ، يهابه ويحترمه الجميع .

كان جدى الشيخ عبد الله قد حفظ القرأن الكريم فى كُتاب القرية ثم درس قليلاً فى الأزهر الشريف ، لذا كان متنوراً يحب العلم ويجالس العلماء والأعيان .. بنى دار ضيافة بجانب بيته ليجلس بها ضيوفه الوافدين من خارج القرية . يجتمع عنده كل ليلة الأكابر والمثقفين .

كان جدى هو أول وجه أفتح عينى لآراه ، ملأ بحبه قلبي وملأ حبي قلبه لا يصبر على فراقى ساعة لذلك كان يصحبنى معه فى حله وترحاله ، يجلسنى خلفه على حصانه

أجلس معه فى مجالسه العرفية ، ومجالس السمر التى يحضرها شاعر الربابة ، أو مقرئى القرآن الكريم أو أى وافد يفد على قريتنا كانت مضافة جدى مقصده لذا كنت مدللة يحسن الجميع معاملتى إكراماً لجدى .

رأيت أقدامهم أمام القبر مد أحدهم يده التى تحمل الكلوب ووضعها فى فتحة القبر ثم نادى وجدها وجدت ياسمين ومد شخص آخر يده وسحبنى فأخرجنى من القبر .

وقفت على قدمى قليلاً أوصلونى لحضن أمى التى تلقتنى مرتعدة نظرت فى وجهها ثم غامت الدنيا أمام عينى ولم أعد ارى شيئ .

عندما فتحت عينى مرة أخرى وجدتنى فى حجرة جدتى وبجانبي أمى التى كانت تربط رأسها بإيشارب لونه أخضر تضغط به جبهتها كأنها تعانى من الصداع وتضغط بيدها الكمادة على جبينى . كانت تحتضننى وكنت اشم

رائحتها ، لطالما أحببت هذه الرائحة ، رائحة امى ترتبط بداخلى بذكرى لا اعلمها لكنى أحبها ، أردت أن أملأ قلبي بتلك الرائحة حتى لا أشم غيرها .

طرق الباب ودخل نعمان . كانت نظرته مألوفه بالنسبة لى كنت أحتار فى تبرير سر قسوته معى نعم إنها نظرة يريدنى من خلالها ان أشعر بقسوته . كان حاجباه الأسودان معقوفين قليلاً فوق عينين بهما شيئ من الجحوظ . منذ تزوج أمى عندما كان عمرى عامين وهو يلقانى بتلك النظرة . فيتولد بداخلى شعور بالغضب ممزوج بالتوتر والإنزعاج . كنت دوماً أعتبر نفسي قوية ولا أشعر بضعفى إلا امام هذا الشخص جعلنى احساسي بالضعف أرتعد وأنكمش . ضعفى هذا وخوفى منه جعلنى أشعر بالعار .

سالنى :

– عامله إيه يا ياسمين كده تخضينا عليكى عامله إيه يا بنتى .

قالت امى :

– ردى على عمك نعمان يا ياسيمن

لم يخرج صوتى إلا همسا قلت :

– الحمد لله على كل حال .

جلس ينظر ناحيتى فالتقت عيناه بعيني ، كان على وجهه تعبير غريب جداً غضب ممزوج بالكراهية .

خرجت أمي وأخرجته من الحجرة عندما شعرت أنني أصبت بالتوتر من وجوده معى فى نفس الحجرة . كنت أشبه أمي كثيراً نفس الوجه البشرة العاجية والعيون التى يصعب تحديد لونها هلى هى خضراء أم زرقاء ام عسلية فهى خليط من كل ذلك لكن شعرها اغمق من شعرى .

سمعت جدتى تقول لخالى :

- لو ياسمين جرا لها حاجه أنا مش هسامح نفسي أبدا أنا السبب فى كل اللى جرا لها . ثم سقطت دموعها على وجهى

نعم جدتى لها دور كبير فيما أصابنى من الأضرار ، وكان لها دور كبير فى زواج أمى من نعمان ، برغم حبي لها ، إلا أننى أجد صعوبة فى مسامحتها على ذلك .

(٢)

أغمضت عينى ومر عليها شريط حياتى ، أرادت جدتى الإطمئنان على أمى ، فأرسلت إلى أبي قريبة لها ، تطلب منه بطريق غير مباشر أن يعيد أمى لعصمته ، حتى يقوما بتربيتى معاً ، لكن أبي فهم الأمر وشعر بالزهو لكرامته الذبيحة وأعلن رفضه وكان رده قاسياً قال :

– روح لـــ زوجة عمى وقل لها بنتك دى متنفعش ست أصلا ، وأنا خطبت سنية أخت خليل صاحبي ، وهتجوزها بعد شهرين .

ثارت جدتى لكرامتها ، وقررت تزويج أمى من نعمان قبل أن يتزوج أبي من سنية ، وإحتالت للأمر فتم لها ما أرادت ، وكان شرط جدى أن أبقي معه ولا أذهب لأعيش فى بيت زوج أمى وتم الأمر على ذلك .

فــ عشت فى بيت جدى كأميرة ، أعامل كما تعامل الأميرات ، أحضر معه مجلسه أسمع كل شيئ بإنتباه شديد ، أما المدرسة فلا أذهب إليها وحدى بل مع مرافق ، برغم قربها من البيت ، كم كنت أتمنى أن يتركنى جدى ألعب مع صديقاتى ، أو حتى أذهب معهن للمدرسة ، لكنه كان يرفض ذلك بشدة ، كان الجميع يحسن معاملتى سواء فى البيت أو فى المدرسة.

ذات يوم إنتقل إلى مدرستنا معلم جديد ، كان رجلاً طويل القامة بدأ الصلع يغزو رأسه دخل الفصل فوجده هائجاً الكل يلعب والأولاد يتقاذفون الحقائب والأوراق فيما بينهم ، أما البنات فكن يلعبن الأولى ، وقمنا برسم المستطيلات على بلاط الفصل ، كنت مكتفية بالمشاهدة كعادتى ، انظر لكل طرف من الأطراف ، لم أشارك ابداً من قبل فى اللعب ولا فى الأحاديث كنت كطيف متواجد داخل كل مكان اذهب إليه . لم أكن أجيد

التواصل مع من هم فى نفس عمرى ولا اجيد التواصل مع الناس من كل الأعمار . ربما كنت أرى الحياة بطريقة مختلفة عما يراها الناس .

إشتد الصراخ وتمزقت بعض الكتب . دخل المعلم الفصل فجأة ، وهاله ما رأى فقرر معاقبة الفصل كله بالضرب عندما جاء دورى لم أفتح يدى وقلت للمعلم :

– لماذا أُضرب وأنا لم أفعل شيئ إسألهم جميعاً لم أتحرك من مكانى ولم ألعب ؟

تطوع بعض الأولاد للرد قائلين :

– ياسمين لم تشارك فى اللعب .

قال المعلم الحسنة تخص والسيئة تعم . كان صوته صارماً مملوء بالقسوة . لم أفهم معنى ما قاله ولكنى صممت على أغلاق يدى . لم أفتح يدى فقام بضربي على كتفى ولطمنى على وجهى إزداد عنادى وإستمررت فى رفض

فتح يدى وإستمر يضربنى ويلطمنى حتى دخل الأستاذ فخرى مدرس اللغة العربية وأبعده عنى قائلاً :

- على مهلك يا استاذ عاطف دى مابتنضربش .

- ليه على راسها ريشه هتنضرب زى زمايلها .

- لا يا سيدى الفاضل لا ريشة ولا غيره لكن هى مؤدبة ومتفوقة وجدها صاحب أفضال على الجميع .

ماذا فعلت ؟

قال المعلم :

- ستضرب مثل باقى الطلاب .

أخذه الاستاذ فخرى من يده وأخرجه من الفصل

التف حولى زملائى من ضرب ومن لم يضرب بعد ، كانت أكفهم تمسح دموعى ، وتربت على كتفى .

جاء الناظر بصحبة الأستاذ فخرى وطلب منى ألا أخبر جدى حتى لا يغضب ، وفعلاً كنت قد قررت ألا أخبره ، لأنه لو علم لن يدع الأمر يمر بسلام .

عدت إلى البيت ودخلت حجرتى ، رفضت تناول الطعام حتى لا تلاحظ جدتى وجهى فكل صديقاتى قلن لى أن وجهى وعيونى محمرة ،

وقالت منال صوابع المعلم إللى يتشك فى دراعه مرسومة على وجهك

نمت طويلاً وأستيقظت على صوت جدى يسأل عنى خرجت وإرتميت فى احضانه ونسيت ما حدث لى عندما رأى وجهى أصابه الفزع وغضب غضباً شديداً ، فى الصباح أوصلنى خالى إلى المدرسة كما يوصلنى كل يوم ، دخل المعلم الفصل ونظر إلى مبتسماً ، لم تعجبنى بتسامتها طلب منى أن أخرج لمسح السبورة لم يكن يعهد بمسح السبورة إلا للأولاد المقصرين ولم أخرج

لمسح السبورة من قبل ، لكننى استلمت الباشورة وبدأت أمسح السبورة فبدأ المعلم الجديد ذو الشعر الأسود اللامع المدهون بالفزلين . يختار لى أصعب الاسئلة أملاً منه بأن أخطئ فيعاقبنى ثانية ، لكنه لم يكن يعلم مقدار تفوقى فلم أخطئ فى أى سؤال .

ترك الحساب بعد أن سمعت له جدول الضرب ، وبدأ فى اللغة العربية طلب منى أن أسمع الأناشيد وسألنى فى معانى المفردات يأس تماماً منى لكنه ظل مستمراً فى محاولة الإيقاع بى وجعلى أخطئ حتى أعاقب لم يكتفى بما صنعه بالأمس المسألة إذاً مسألة تحدى .

فجأة سمعنا صوت ضوضاء شديدة وفتح الباب فى مشهد أسطورى ، فوجئنا جميعاً بدخول جدى للفصل ممتطياً حصانه الأبيض ، أمسك المعلم من كتفه وهزه هزة عنيفة فما كان من المعلم إلا أن قال :

- هو فى إيه هو أحمد عرابي لسه عايش ولا إيه !

ابتسمت رغما عنى عندما رأيت إرتعاش المعلم بين يدى جدى .

قال جدى للمعلم كلمات كثيرة غاضبه لم أفهم كلامه لكنى رأيته مرسوماً على وجه المعلم

جاء الناظر والمعلمون وحاولوا تهدئة جدى واتفقوا أن يأتى الناظر وكل العاملين بالمدرسة ليعتذروا لى فى بيت جدى عما بدر من هذا المعلم الأحمق ، لم أكن أشفق عليه ، فقد كرر خطأه ، متناسياً أنى مجرد طفلة صغيرة .

نادتنى أبلة سعاد قائلة :

– متنسيش يا ياسمين قولى لجدتك أن المدرسات مش هييجوا العزومة بكرة خللى جدتك تبعت لنا نايبنا وبلاش تنسي الفطير .

ركبت خلف جدى على حصانه وأنا أفكر لماذا يعاملنى جدى هكذا ، هل نزع حبي من قلب أبي وأمى ووضع فى قلب جدى .

إستقبلتنى خالتى بسيل من الكلمات الغاضبة قائلة :

- مافيش يوم يعدى يا ماما من غير عزايم المدرسة كلها يا نهار اسود .. إمتى اتجوز وارتاح زى باقى أخواتى .

قالت جدتى :

- كلها كام شهر وتتجوزى وتسيبينى أنتِ كمان زى أخواتك .

قالت خالتى :

- كله من تحت راس المفعوصة دى ، وفيها إيه يعنى لما تنضرب ما إحنا كلنا كنا بننضرب وبابا ككان بيوصى المدرسين يضربونا علشان نتشطر .

قلت :

- بس أنا شاطرة ومؤدبة ومبعملش أى غلط أو مشاكل

.

قالت خالتى :

- انتِ مغرورة وءنزوحة . ثم أكملت قائلة

إحنا كنا لو حد تعب بعد كام يوم لما تفتكروا تودونا لدكتور او نخف لوحدنا ، لو التعب طول بابا يبعت يجيب لنا الدكتور ، لكن انت لو تقولى آه يجرى يشيلك ويجرى بيكى وانتى زى الشحطة كدا للدكتورة ، ولا اللبس يشترى لك لبسك من عند أحسن المحلات يسافر مخصوص علشان يشترى فساتينك و إحنا طول عمرنا بنخيط عند أم وداد .

نهرتها جدتى قائلة :

- كفاية انتى بتحسديها حرام عليكِ دى زى اليتيمة أبوها وأمها عايشين ولا دارين بيها

كانت جدتى على حق ، كانت تمر الأيام والشهور، دون أن أرى أمي وكنت أشتاق إليها فأذهب لبيتها يقابلنى زوجها غاضباً ويعاملنى بجفاء شديد . كانت تلقانى أمي دامعة العينيين ممزقة بين حبها لى ورغبتها فى الإستقرار وتربية باقى أولادها ، كانت نفسها مطمئنة لأنها ترانى أحيا فى كنف جدى هادئة مطمئنة ، فتقر عينها قليلاً قرأت هذه المعانى فى عينها ، وقرأت الكراهية الشديدة فى عين نعمان ، نعم كنت طفلة صغيرة ، لكنى فهمت جيداً لغة العيون فقررت ألا أعرض أمي لهذا الموقف ثانية ، سأكتفى برؤيتها حين تأتى هى لبيت جدى .

أما أبي فكنت لا أراه لأوقات بعيدة أزوره فى بيته تقف زوجته بالباب لتمنعنى من الدخول قائلة :

- روحى يا حلوة بابا نايم . فأعود من حيث أتيت

تركت جدتى وخالتى باكية العينين ، عندما جاء الشيخ سليمان الذى عهد إليه جدى بأن يقوم بتحفيظى القرآن

دخل جدى الحجرة وسأل الشيخ

- إيه أخبار ياسمين يا شيخ سليمان .

رد الشيخ قائلاً :

- بسم الله ما شاء الله تبقي لها خمسة أجزاء ، لو سارت على هذا المعدل ستحفظهم خلال خمسة أشهر بإذن الله ، إن شاء الله تختم القرآن قبل أن تحصل على الإبتدائية .

قال جدى :

- شد حيلك معاها وانت جايزتك كبيرة .

لم يتم ما توقعه الشيخ ، فلم أكمل حفظ القرآن لا فى خمسة أشهر ولا فى الخمسة أعوام القادمة .

فى الليل كان البيت مستعداً لقدوم هيئة المدرسة ، جلسوا أولاً للمأدبة العامرة ثم إستأذن الناظر جدى لأقوم بالغناء فى حفلة المدرسة التى سيحضرها الوزير والمحافظ بمناسبة إفتتاح مجمع مدارس

قال الناظر :

– ياسمين زى ما عودتنا كل سنة هتغنى .

قال جدى :

– ياسمين كبرت . ثم نظر لوجهى فعلم أننى أكون فرحة بالغناء خصوصاً فى الحفلات الكبيرة ولم يرد أن يحرمنى من متعتى ومن كلمات الإعجاب والتشجيع

اكمل جدى ولكن .. هذه آخر مره ستغنى فيها يا ياسمين

أعدك بذلك يا جدى .. قبلت جدى وإلتفت فوجدت المعلم الذى ضربنى ينظر ناحيتى يشعر بالخجل ينظر للأرض يريد أن يتحدث . نظر له الناظر قائلاً :

- استاذ عاطف اعتذر لياسمين .

قلت له :

- عفوا يا حضرة الناظر ، هو استاذى ولا انتظر منه إعتذار .

قال الجميع ونعم الأدب ونعم التربية الكريمة

هكذا مر اليوم بسلام وتلاه أيام وأيام تذكرت كل هذا وأنا ارقد بين أمى وجدتى فى حجرة جدى وعلى فراشه وتذكرت آخر مرة رأيت فيها جدى .

(٣)

آخر مرة رأيت فيها جدى كان يوم حفل المدرسة كنت عائدة من الحفلة سعيدة أكاد أطير من الفرحة ، وكعادتى مررت على جدى فى مضيفته فلم أجده .

كنت غاضبة منه لأنه لم يحضر الحفل كما وعدنى رسمت على وجهى تكشيرة حتى يعلم أنى غاضبة .

سمعت أصوات بكاء مكتومة .. وجدت خالتى ، وأمى فى الصالة يبكون فى صمت كانت جدتى حائرة يرتسم القلق على وجهها وعيونها محمرة . دخلت حجرة جدى وجدته نائماً فى فراشه والحجرة مملوءة بالناس دخلت جدتى . فــ قام خالى ليفسح لها مكاناً بجوار جدى فجلست ووضعت رأسه على كتفها . عندما رآنى فتح ذراعيه وابتسم لى دخلت فى احضانه وقلت بصوت هامس :

- مالك يا حبيبي ؟

قالت جدتى :

- جدك تعبان يا ياسمين ورفض يروح المستشفى إلا لما تيجى ويسلم عليكى .

لا أعلم إن كانت تلك دموعاً التى نزلت من عينى أم نيراناً ، مسحها جدى بيده ، كان الألم ظاهراً على وجهه ، لكنه إبتسم وقال :

- متخافيش أنا بخير وهرجع لك ماشي على رجلى إطمنى وإحكى لى عملتى إيه فى الحفلة. غمغم خالى قائلاً :

- كل دقيقة تأخير غلط على صحتك .

أشار له جدى قائلاً :

- إتلهى دوايا فى حضنى أهوه .. قولى ما ترديش على حد عملتى إيه ؟

- غنيت يا جدو والمحافظ طلب منى أغنى أغانى كتير لأم كلثوم وكان فرحان لما لاقانى حافظاها وكمان هو عارفك يا جدو وسألنى عليك وقال أنى هكون مطربة كبيرة زى أم كلثوم فى يوم من الأيام .

هنا إنتفض جدى وحاول الجلوس فاستند على جدتى ووضع يده فى يدى قائلاً :

- اوعدينى يا ياسمين ..

قلت :

- على إيه ؟

قال :

- أول حاجه تتمى حفظ القرآن الكريم وتكملى تعليمك لحد ما تاخدى الدكتوراه فى التخصص إللى يعجبك وتحافظى على صلاتك .

ونظر إلى ملابسي فوجدنى أرتدى ثوباً قصيراً وبدون أكمام وشعرى مسدول على أكتافى فوضع يده على كتفى ونظر فى عينى قائلاً :

- جسمك ميتكتفش ولا شعرك فاهمه ؟

كان ينتفض من الألم ويضغط بقسوة على ذراعى .. شعرت أن أصابعه ستمزق يدى ، لكننى هززت رأسي بالإيجاب أكمل قائلاً :

- متغنيش برا البيت أبداً .

فاهمه .. عارف إنك بتحبي تغنى إوعى يا ياسمين يقولولك شهرة ومجد وفلوس أوعى .. دى وصيتى تبقي

بتموتيني ألف مره بعد موتى لو عملت غير اللى قلت لك عليه .

نظر جدى إلى جدتى وأخوالى قائلاً :

– وصيتكم ياسمين .

هنا تنحنح أبي وتدخل فى الكلام لأول مره ولم أكن قد انتبهت لوجوده قائلاً :

– ياسمين بنتى يا عمى .. ولا ناسي ؟

نظر له جدى نظرة غاضبة وقال :

– إنت إللى ناسي .

كان جدى لأبي يجلس فى الناحية الأخرى من الحجرة فتنحنح قائلاً :

– ياسمين فى عينينا .

عندما حُمِل جدى دخلت أمى وخالاتى للحجرة باكيات .. ولم يعد إلا على القبر ، ولم أره ثانيةً بكيت كثيراً .. لم يكن ما شعرت به يوم موته حزناً بل يُتماً ولطماً والماً.

لم يكن موته كل ألمى لكنه كان بداية الألام ووداعاً للسعادة .

كان قلبي يتمزق بألم ولوعة . كنت أنظر للنسوة المتشحات بالسواد فينقبض قلبي . الجميع يبكون على جدى . جاء اصدقاءه ومحبينه من كل مكان

أُقيم العزاء لمدة سبعة أيام . كان أهل القرية جميعاً فى غاية الحزن تبكيه حتى النساء والأطفال ويذكره الجميع بسماحته وكرمه وهيبته وحبه للخير .

حقاً تموت القلوب حين يرحل من كانت تنبض لأجلهم فتخجل النبضات وتتوقف عن الخفقان .

(٤)

تركت الجميع ودخلت حجرة جدى وجدتى هذه الحجرة التى كنت اقضي فيها أوقاتى السعيدة .

الآن أهرب إليها من الحزن والألم ، نسينى الجميع وأغلقت الحجرة طيلة اليوم بالمفتاح من الخارج وأنا بداخلها ، لكنى لم أشعر بالخوف أو الوحشة .

أذكر الآن أيامى فيها ..

حجرة جدتى كانت جنتى ، كنت ألجأ إليها دائماً وأرتمى فى أحضانها ، أذكر أول صلاة لى كانت خلف جدتى ، رأيتها تصلى لا أذكر كم كان عمرى وقتها ربما كنت فى الرابعة أو أكبر قليلاً ، كنت أذهب لكُتَّاب القرية منذ الرابعة من عمرى .

رأيتها تصلى ، جلست أصلى بجانبها بدون وضوء ولكننى حرصت أن أغطى شعرى ، وبرغم قصر ثوبي ..

ركعت جدتى فركعت ، سجدت فسجدت ، كنت لا أقرأ شيئا إلا الفاتحة فلم أكن أحفظ غيرها . وبعد أن سَلْمَّت سَلمتْ .

رأيت جدى يقف بباب الحجرة ويبتسم ثم جاء وحملنى وقال لى :

– حبيتى الصلاة ؟

إبتسمت واختضنته .. قالت جدتى :

– بس هى كانت بتلخبط فى قراءة الفاتحة وكانت بترفع صوتها .

قال جدى :

– مش مشكلة علميها تصلى إزاى .

كانت هذه الحجرة هى جنتى فعلاً ، أهرب إليها وإلى أحضان العجوزين حينما تعنفنى خالتى أو يضايقنى أى

شخص فى هذا العالم ، فأجد أحضانهم مفتوحة دائماً لإستقبالى ومسح دموعى وغسل همومى الصغيرة بالكلمات الحانية .

عندما كنت أرى جدتى أرى نوراً يشع من وجهها . ما أجملها وما أحن قلبها .. ملأت هذه السيدة قلبي بالحنان .

كان كُتاب القرية فى المسجد فى مصلى السيدات بالدور العلوى ، وأمام المسجد ساحة كبيرة كان الأولاد يلعبون بها ، أما أنا فكنت أجلس على السلالم أكتفى بالمشاهدة ،

وقت الدرس بين آذان الظهر والعصر نجلس نردد خلف الشيخ الآيات وعندما نسمع الآذان ينزل الأولاد بصحبة الشيخ لأداء الصلاة فى الدور الأول ، وتصعد السيدات للصلاة .. كنت أترك المسجد لأذهب إلى جدتى لأصلى خلفها . عندما كبرت قليلاً ورأى جدى

حتي لحفظ القرآن إتفق مع الشيخ أن يأتى للبيت ليقوم بتحفيظى القرآن .

أجمل الليالى هى التى كنت أقضيها بين أحضان العجوزين كنت أنادى جدتى زوزو كما يناديها جدى وأناديه عبده كما تناديه جدتى ، رأيت معهما أجمل قصص الحب بين عاشقين .. مر على زواجهما أربعون سنة ولا يزال الحب يملأ حياقمما . إذا تأخر انتظرته فى الفارندا وعندما تراه تشرق ملامح وجهها .

كان يرسل لها رسائل من المضيفة رسائل مملوءة بالحب والشوق .. اذكر بعض هذه الرسائل ..

" يا مليكتى حضرى لنا الغداء "

" يا زهرة الياسمين عندى مجلس وهتأخر عليكى "

" يا نوارة فؤادى خليهم يحضروا عشا للناس اللى معايا "

وأحيانا كان يكتب لها " يا حبيبتى وحشتينى فى الساعتين دول ، انتظرينى سأحاول انهى المجلس لأعود لكى سريعا ، مع حبي وغرامى " كانت جدتى تحتفظ بهذه الرسائل فى حقيبة جلدية ..

لم أكن أعلم أن قراءة هذه الرسائل عيب حتى رأتنى خالتى سوسن ذات مرة وعنفتنى ، وعندما علمت جدتى إبتسمت حياءً كفتاة صغيرة أما جدى فقد ابتسم وبدأ يرسل لى رسائل أنا أيضاً .

رأيتها يوم وفاته تقبل قدميه ويديه وهو يطوحهما من الألم عندما يذهب فى أغماءة ثم يفيق فيناديها فترد عليه باكية فيدعو لها .

تساءلت هل لو تزوج العشاق أصحاب القصص الشهيرة أمثال روميو وجولييت وقيس وليلي أكان الحب يدوم بينهما هكذا ،

لم ترى جدتى جدى قبل زواجهما لم يعبشا قصة حب عنيفة ولم يلتقيا فى مدرجات الجامعة ولا الندوات والكازينوهات ، جمعهم بيتاً فملآه بالحب والمودة والرحمة .

بعد وفاته كانت تقف أمام صورته تناجيها بعينيها ..

عاشت بعده ثلاثين عاماً تنظف طربوشه وعمامته وشاله ، وتغسل ملابسه وتعلقها على الشماعة كل يوم تقرأ ورده من القرآن ووردها كما أعتادا

واجداه وا حبيباه .. ابكيكما الآن بدموع القلب بعد أن جفت دموع العين .

(٥)

مرت الأيام ثقيلة الخطى لا أشعر بشئ غير الألم والشوق لجدى . اذهب إلى الحظيرة لأعتنى بحصانه الذى أصابه المرض منذ يوم وفاة جدى ، أحاول إطعامه لكنه ظل يرفض تناول الطعام حتى مات حزناً على صاحبه .

كان إحتضان جدتى لى يهون على كثيراً ونجحت محاولتها فعلاً فى تعويض حنان جدى ، فقد هدأت نفسي وإطمأن قلبي ، ولكن زوجة خالى وخالتى كانتا غلاظاً معى ،

لم أكن أعيرهن إهتماماً ، تغيرت حالتى .. تعودت أيام جدى أن أطلب فيلبي طلبي فوراً لكن الأمور تغيرت الآن . كان نعمان يعاملنى بحنان شديد يدخل البيت فيسأل عنى يحضر لى الحلوى ويلاطفنى ..قال لأمى :

– ما رأيك أن تأتى ياسمين لتعيش معكِ ومع أخوهما ؟

كادت أمي أن تطير من الفرحة إستبشرت خيراً قام نعمان بتجهيز حجرة لى فى بيته .. قام بطلاءها بلون وردى وأحضر لها ستارة جميلة .. كنت أقضي معهم طيلة اليوم وأعود لأنام مع جدتى ، حتى لا أتركها وحيدة فقد تزوجت خالتى سوسن . لكن عندما إنتقل خالى فتحى إلى البيت للإقامة مع جدتى بشكل نهائى ، إنتقلت أنا أيضا للأقامة فى بيت أمى .

بدأ نعمان يلمح بضرورة أن تطلب أمى ميراثها حتى يشترى به نعمان أرضاً فهو يربي لها إبنتها ، وفعلا ذهبت أمي لأشقاءها وطالبت بميراثها ولم تمهلهم فإقترضوا حتى يشتروا نصيبها ..

فقد كان من عادة أهل الريف ألا يعطوا أرضهم الزراعية للبنات ، ويقوم الأشقاء الذكور بشراء نصيب الإناث ، أخذ نعمان المال وقام بشراء أرض زراعيه

سجلها بإسمه لم تستطع أمى الأعتراض ، فهو يذكرها دائماً بأنه يربي لها إبنتها

خضعت أمى إذاً وإستكانت لكن نعمان بدأ يفتعل المشكلات معى ..

عندما تضع امى الطعام نجلس جميعاً فــ ينظر ناحيتى بغل ثم يجلس مبتعداً عنى مشيحاً بوجهه كما لو أنه يشم رائحة كريهة .

وجدنى مرة أجلس أمام باب البيت لأشاهد مجموعة من البنات يلعبن معاً ، نادانى فذهبت إليه مسرعة ضربنى على وجهى بالقلم ، صرخت فى وجهه

- بتضربنى ليه هو أنا عملت حاجه ؟

جاءت أمى مسرعة :

- بتضربها ليه إيه اللى حصل ؟

– بتلعب فى التراب ووسخت هدومها .

– والله مكنتش بلعب ووهدومى نضيفه أهوه كنت بتفرج على اللعب بس .

قالت أمى :

– ياسمين دايماً نضيفة وعمرها لا لعبت ولا بهدلت نفسها ، كمان مسمحلكش تضربها تانى .

جلس على طرف المقعد ينظر لها بغضب كان يضم كفه على ساقه اليسرى بقبضة محكمة كانت العروق نافرة تحت جلده الغامق لم يرخ قبضته كانت يده مفتولة العضلات قوية جعلتنى اشعر بألم صفعته على وجههى فأتحسسه وأنا أمسح دموعى ، رفع قبضته ولوح بها قائلاً :

– ربي بنتك يا سامية بلاش الدلع اللى هيبوظها ، وبلاش تخللى بنت الكلب دى تكون سبب فى طلاقك وخراب بيتك .

وجد تهديده طريقه إلى قلب أمى كانت تخاف ان تطلق مرة أخرى الآن باعت ميراثها ولم تعد تملك شيئاً وأصبح لديها ثلاثة أطفال غيرى مسحت دموعى وقبلتنى وجلست صامتة .

أما هو فظل يحدق بي والإشمئزاز يملأ عينيه السوداوين . دخلت حجرتي وجلست متجمدة أفكر فى وضاعته وظلمه يفعل كل ذلك ليتخلص مني.

منذ أيام قليلة كان يدللنى ويشترى لى الحلوى ، حتى تحصل أمى على ميراثها والآن ينقلب هكذا تصل الأمور للضرب . عندما دخل لينام تركت البيت وذهبت لبيت جدتى وحكيت لها ما حدث فجاءت مع خالى . قائلة :

- هى حصلت الضرب .. تتقطع إيده .

استيقظ من النوم على صوت جدتى خرج بشعره المشعث . وقف أمامها ثم نظر ناحيتى . وقال وقد تقوس ظهره ليمسك بى من ملابسي

- هى حصلت رايحة تشكى للهانم جدتك .

أمسك يدى شعرت بنوبة من الخوف الشديد جعلت شعرى يقف .

- من النهارده مالكيش مكان فى بيتى تلمى هدومك وتخرجى منه .

صمتت أمى تماماً . أفرغت جدتى وخالى كل غضبهما فى وجهه البشع . ثم خرجنا من البيت . فشلت فى كبت دموعى طيلة الطريق .

وفعلاً صمتت أمي وعاشت وعدت إلى بيت جدتى ،
لكنه لم يعد بيت جدتى ، فقدأصبحت له سيدة أخرى
الرأى رأيها ،

وإنزوت جدتى فى حجرتها منعاً للمشاكل ، بدأت زوجة
خالى تضايقنى أنا وجدتى بكل الطرق ، تتعمد إهانتى
تضربنى وتهيننى وجدتى لا تستطيع الرد ، أشكوها لخالى
فيكلمها بهدوء لكنها ترفع صوتها وتلفق لى الأتهامات ،
ثم حملت أولادها وتركت له البيت وإشترطت أنها لن
تعود حتى أخرج من البيت ،

لكن تدخل الجميع وأعادوها للبيت ، فأصبح البيت
جحيماً لذلك كنت أخرج من البيت صباحاً ولا أعود
إلا على موعد النوم ، حتى جدتى التى لم تكن تطيق
إبتعادى عنها لحظة تركتنى اذهب لبيوت أقاربي ، تجنباً
للمشاكل ،

قمت بتدريب نفسى على الجلوس طيلة اليوم بلا كلام ولا طعام ، أجلس فى مكان واحد لا أتحرك منه ، لكن عقلى يعمل .

وحتى لا يملنى من اكون ببيته من أقاربي كنت أنزوى فى أحد الأركان لا أبارحه ، كانوا لا يشعرون بوجودى .ألاعب الأطفال الصغيرة .او أقوم بمساعدتهم فى أداء بعض الأعمال المنزلية . كان هذا الوضع يحتاج إلى التعامل بمرح ودبلوماسية لكننى كنت فاشلة فى هذه الامور دربت نفسي أيضاً على عدم الذهاب للحمام إلا مرتين مرة صباحاً وأخرى مساءً ، وعندما أشعر بالإشتياق لجدى أذهب لزيارته فى قبره .

كانت كل المنازل مفتوحة لى ومرحبة بي إلا منزل أمى وابي

كانت زوجة أبى ترفض مجرد دخولى للبيت فكنت أنتهز فرصة ذهاب أحدى عماتى لزيارة أبي فأذهب بصحبتها .. فكانت زوجتة تخجل أن تطردنى أمام عمتى ،

كنت أثناء اللقاء بابى أظل أنظر له حتى أحفظ ملامحة ، قال لى أبى :

– إنتِ بتبصى لى كتير أوى ليه كدا يا ياسمين . فقلت :

– بصراحة بخاف أنسي ملامحك ، يابابا لأنى مبشوفش حضرتك إلا كل سنة مرة .

تنحنح أبي وقال :

– ابقى تعالى يا حبيبتى .

– باجى كتير يا بابا علشان أشوفك وأشوف أخواتى لكن طنط سنية بتقولى إن أنت مش موجود .

نظر أبى لزوجته وقال :

- إبقي خللى ياسمين تدخل يا سنية علشان تتغدى وتلعب مع أخواتها .

قالت له بغضب :

- حاضر .

كان أبي يشعر بالإحراج ..

استمر الوضع على هذا الحال حتى مزق إبن خالى كتابي ، وعندما أخذته منه بكى جاءت زينات وظنت أننى ضربته فظلت تضربنى وأنا أخبرها أننى لم أضربه أخذت كتابي منه فقط لكنها رفعت صوتها وأخبرت الجميع أننى ضربت ابنها الصغير ، وبدأ الجميع يوجه لى اللوم حتى جدتى .

وإمتنع خالى عن الحديث معى وقالت خالتى سوسن :

- مش كفاية متحملينك وإنتِ ليكى اب وأم روحى لأهلك وريحيهم .

لذلك تركت البيت وتوجهت إلى القبر .. قررت أن ابقى هناك حتى أموت لم يكن لى أى سبب لإستمرارى فى هذه الحياة .

ولا أريد أن أسبب ألماً أكثر لمن حولى فقد كنت مصدر تعاسة للجميع .

عندما يولد أى مولود فى العائلة ، كنت أرى فرحة أهله به . وكنت اتخيل نفسي مكانه ، هل فرح بى أحد كما فرح والدا هذا الطفل به !

مؤكد لا ، ومؤكد أن الجميع تمنوا موتى قبل ولادتى .. ليتنى مت قبل أن اولد . لكن لا هناك من فرح بولادتى وقام بإحتضانى وقربنى منه هأنا ذا معك الآن يا حبيبي أمسح على جدران قبرك .

أسبوع كامل بعد خروجى من القبر ، لم اتحدث ولا بكلمة واحدة ، ظللت أستعرض شريط حياتى ، أتذكر كل ما مر بي ، وأفكر هل أسأت لهم ؟

كل ما كنت أتمناه مكان أعيش فيه .. ليتهم تركونى حتى أعيش بمفردى .

طلبت من جدتى أن تقول لى حكاية مركوب أبو القاسم . كانت زوجة خالى عندما عدت من القبر تقول :

- رجع مركوب أبو القاسم .

قالت جدتى :

- عمى فى قلبها بقي القمر الجميل ده يبقى مركوب أبو القاسم .

تأثرت أمى عندما سمعت ذلك فقلت لها إن نعمان أيضاً قال لى إنت مركوب أبو القاسم وسنية زوجة أبي ..

– نفسي أعرف الحكاية .

صمتوا جميعاً ولم يحكى لى أحد الحكاية ..

بدأت حالتى فى التحسن أو هكذا ظنت أمى فعادت لبيتها . لكن زوجة خالى تركت البيت ، فلقد كان الجميع يتهمها بإساءة معاملتى إلى الدرجة التى فضلت فيها البقاء بالقبر على العيش معها لكن ما حدث لى بعد ذلك جعلنى أعتقد أن زينات زوجة خالى هى ملاك من ملائكة الرحمة .

(٦)

بعد خروجى من القبر كانت أمى وجدتى تخافان أن يكون قد مسنى الجن بسبب طول بكائى ومرضي وشحوب وجهى ، فلم تكونا تعلمان سر ضعفى وهزالى .. فخلال أربعة أشهر كنت أطوف يومياً على بيوت أقاربي كنت خلالها يمر على اليوم واليومان لا أتناول الطعام خجلاً من أن أكل فى بيت من هذه البيوت .. نعم خف وزنى حتى صرت شبحاً .

طالت مدة رقادى حتى تظل أمى بجانبي لكن زوج أمى جاء وأخذها معه بعد أن أخبرهم الطبيب أنى قد تعافيت .. فقد خلا البيت لفترة طويلة من زوجة خالى وكانت جدتى تطهو لى الطعام الذى أحبه فتورد وجهى مرة أخرى وعادت لى صحتى .

بعد عودة زوجة خالى جاء والدى مصراً على أن يأخذنى معه إلى بيته لأن الناس بدأت تنظر إليه نظرة إهام وتعايره بترك ابنته ليقوم غيره بتربيتها .. وفعلاً إنتقلت إلى منزل أبي .. وضعت لى جدتى ملابسي فى حقيبة جلديه حملها أبي وتبعته ، كان كمن يحمل حملاً ثقيلاً على ظهره .

قابلتنى زوجته عابسه متجهمة ثم قالت :

– ودى ان شاء الله هتبيتها فين يا سي على؟

– فى الأوضة مع إخواهّا .

– عايز تنيم بنت مع الصبيان ؟

– دى أختهم والولاد أصغر منها بكتير .

– طيب سيبها لى وروح شوف وراك إيه وأنا هتصرف .

كنت أنظر لوجه أبي مرة ولوجهها مرة ولا أنطق ،

إستسلمت تماماً لقدرى ونصيبى فماذا أفعل ؟

فرشت لى منامة على كنبة قديمة فى صالة البيت

وأحضرت لى غطاء قديم وتركتنى .. كنت جائعة .

ناديتها قائلة :

- ممكن تحكى لى حكاية مركوب أبو القاسم يا عمتو .

جاءت وجلست بجانبي وقالت :

- كان فى واحد بخيل إسمه أبو القاسم . كان أبو القاسم عنده مركوب بيلبسه فى رجله قديم جداً . كل ما يتقطع يروح يركب له رقعه لحد ما بقي تقيل وضخم وشكله وحش جداً من كتر الرقع اللى ركبوها له . وكان المركوب مشهور أوى وشكله معروف للكل وبدأ الناس كلهم يقولوا لأبو القاسم إشترى مركوب جديد فقرر يشترى مركوب ويرمى ده لأنه بقي تقيل وبيعور رجله

. إحتار أبو القاسم يودى مركوبه فين وقف على سطح البيت ورماه فنزل على راس واحد ماشي فى الشارع فعوره راح الراجل ده للقاضى وإشتكى من أبو القاسم فحكم القاضي على أبو القاسم بدفع تعويض وأمره ياخد مركوبه معاه خد أبو القاسم مركوبه وسابه على باب المسجد خرج الناس من المسجد فواحد داس على المركوب

فوقع واتعور .. إشتكى المصلى للقاضى فحكم على أبو القاسم بغرامه . أخد أبو القاسم المركوب وراح على شط النهر ورمى المركوب جه الصياد يسحب الشبكة فطلع فيها المركوب واتقطعت الشبكة . فخده الصياد واشتكى أبو القاسم للقاضي ،

فحكم عليه القاضي أنه ياخد المركوب ويدفع غرامة للصياد خد أبوالقاسم المركوب وراح رماه فى القناة

اللى بتصرف المجارى فسد القناة حكموا على أبو القاسم يسلك المجارى وياخد المركوب .

عرفتى يا شاطرة حكاية المركوب ؟

– أه عرفتها يا مرات أبويا وعرفت إن أنا زى المركوب ده .

نظرت لى بغيظ وقالت :

– وأنا وأبوكى ربنا بلانا بيكى .

سالت دموعى فنظرت لى دون أن تشعر بأى شفقة .

نمت ليلتى الأولى فى بيت أبي جائعة ووحيدة وحزينة ولأول مرة أنام بعيداً عن حضن جدتى .

إستيقظت على صوت شجار بين أبي وزوجته فقد كان أبي رافضاً لــ نومى فى الصالة ولكنه لم يفعل شيئ غير الإعتراض .

خرج فأغمضت عيني حتى يظن أنني نائمة كل ما استطاع أن يفعله أن يغطيني وهو يهمس لا حول ولا قوة إلا بالله مفيش عندها رحمة .

تمنيت أن يقبلني أو يحتضنني لكنه لم يفعل .

في الصباح قام والدي بتحويل مخزن البيت إلى حجرة لي .. المخزن كان ضيقاً بدون نافذة ، فقط فتحة تهوية مرتفعه تطل على الصالة ، رائحته قذرة وبه فئران .

ساعدت عمتي أبي في التنظيف ، ثم أحضر أبي شخصاً قام بطلاء الجدران وأحضر لي فراش قديم . واصبحت تلك حجرتي ..

عندما خرج أبي في المساء دخلت سنية إلى الحجرة فوجدتني جالسة وبجانبي الحقيبة لا أعلم أين أضع ثيابي ، فالحجرة لا يوجد بها غير السرير فأخذت الحقيبة لتضع

الملابس فى دولابها ، لكننى خرجت بعد قليل فوجدتها توزع فساتينى على بنات قريباتها .

صرخت فى وجههم قائله :

- فساتينى اللى جدى جايبهالى .

قالت :

- وهو أبوكى مش هيعرف يجيب لك فساتين جديدة ؟

كانت هذه الملابس قد اشتراها لى جدى من أفضل المحلات . ناولتنى ثوباً من ثيابها وقالت ادخلى لتستحمى والبسى الجلابية دى .

بعد خروجى من الحمام أحضرت مشطا لتسرح لى شعرى

- أسرحهولك ازاى .

- ضفريهولى ضفيرتين زى ما جدتى بتضفرهولى .

قامت سنية بعمل شعرى ضفيرتين طويلتين تصلان تغطيان أسفل ظهرى ثم ربطتها بشريطين من أعلى ومن أسفل قالت سنية :

- عينيك خضرا لون عينين أمك مش كدا ؟

هززت رأسي بالإيجاب ولم أرد أعلم أنها تكره أمى وتغار منها .

- وشعرك ناعم وأصفر وجميل زى شعر أمك مش كدا ؟

هززت رأسي بالإيجاب .

فقصت الضفيرتين صرخت فى وجهها

- شعرى حرام عليكى شعرى ليه كدا ؟

- اخرسي يا بت هو انا فيا حيل اسرح وافلى طول ما انت عايشة فى البيت ده شعرك مش هيطول عن شعر اخواتك .

- لكن دول ولاد وانا بنت .

- لازم تسمعى الكلام فاهمة البيت ده هتعيشي فيه زى الخدامة تخدمى ابوكى واخواتك ولو عايزة تشكى لابوكى اشكى له .. هو مش هيقدر يخلصك من إيدى فاهمه ؟

ظللت أبكى وأنتحب فلم تأخذها بي شفقة ولا رحمة وقفت أمام المرآة واضعة يدى على شعرى أنظر إلى الجلباب القديم الممزق الذى ارتديه .. اكمامه طويلة وهو طويل جدا اقتربت منى والمقص فى يدها صرخت خفت أن تقتلع به عيونى كما فعلت بشعرى لكنها تناولت أكمام الجلابيه وقامت بقصها وأجلستنى على الكرسي وقامت بقص الجزء الطويل من الجلابية .

كانت سنية بيضاء البشرة ممتلئة الجسم إلى حد البدانة قصيرة القامة .. حين تصمت تكون امرأة عادية لكنها حين تتحدث تنقلب إلى شيطانة .

كانت تضحك بغل وشماته

– عاجبك تعيشي فى البيت بشروطى هتعيشي تاكلى وتشربي وتتعلمى مش عاجبك الباب مفتوح يفوت جمل .

فكرت فى كلامها فى هذا البيت سأجد الطعام والشراب وسأذهب للمدرسة فأبي سيحرص على تعليمى وإطعامى فلأبقي هنا فهذا بيتى

تركتها ودخلت حجرتى .. علمت أن الأيام القادمة ستكون قاسية جداً . إنهمرت دموعى فمسحتها لم يعد هناك محل للدموع فلأصبر وأتحمل ، عمرى الآن إثنا

عشر عاماً لا ملجأ لى إلا بيت أبي فسأبقي حتى يجعل الله لى مخرجاً .

فى هذه الحجرة التى تشبه القبر سأعيش وسأخضع لسنية خضوعاً تاماً . عندما عاد أبي رأى ملابسي الممزقة وشعرى المحلوق صرخ فى وجهها وقال :

– الرحمة .. الرحمة إرحميها .. إنتِ ليه بتعملى كدا ؟

قالت :

– علشان هتشوف شعرها وتفتكر شعر أمها وعينيها .

قال :

– أدى إنتى قصيتى شعرها هتعملى إيه فى عينيها.

قالت :

– لو أطول أقلعهم والله لأقلعهم .

– يا وليه يا مجنونة قلت لك ميت مرة لو كنت بحبها مكنتش طلقتها .

– أومال طلقتها ليه عمرك ما حكيت لى ولا جبت سيرها إلا ..

– إلا لإيه لازم أسبها علشان ترتاحى متنسيش إنها بنت عمى وأم بنتى وكانت مراتى ومشفتش منها إلا كل خير .

ثم بدأ يبتسم متملقاً :

– مش كفاية إنى طلقتها وإتجوزتك .

علمتنى سنية القيام بكل أعمال البيت من كنس ومسح وترتيب وغسل المواعين والملابس وطهى الطعام ..

منذ لحظة إستياقظى قبل ذهاب أبي للعمل أبدأ بتجهيز الأفطار له ثم أبدأ العمل حتى يعود أبي من سهرته ليلاً . وتفرغت هى للتلفاز والجيران والغيبة والنميمة .

حتى عندما بدأت الدراسة تعلمت تنظيم وقتى بين شغل البيت ووقت المدرسة ووقت المذاكرة

فى المدرسة الإعدادية كنت شخصية مختلفة تماماً الطالبة المثالية والأولى على المدرسة والمحبوبة من الجميع .. عضوة مشاركة فى كل الأنشطة المدرسية . فإذا عدت للبيت لبست ثيابي القديمة ودخلت المطبخ لإعداد الطعام أخرج للصالة ومعى منضدة صغيرة وأطلب منها فى رجاء أن تقوم بتقشير البطاطس والثوم أو مساعدتى فى لف المحشي حتى لا يتأخر الغداء فتقول متضجرة

– أف عليكى يا ياسمين معملتيش حسابك من بالليل ليه

.

فأقول لها ضارعة :

– معلش إنتِ بتلفى المحشي أحسن منى . وبعدين مهو انت اللى علمتينى كل حاجه وبفضلك هبقي أشطر ست بيت فى البلد .

– على الله بس يطمر فيكى .

ثم أعود للمطبخ واكمل ما بدأته من غسل المواعين أو تجهيز باقى الطعام . فى المساء أجلس مع أشرف وأيمن وإيهاب أشقائى على الترابيزة الكبيرة نذاكر سوياً وحتى أرضيهم وأرضيها .. كنت أكتب لهم واجباهم المدرسية لأننى إذا إعترضت مراعاة لمستقبلهم الدراسي كانوا يشتموننى وتأتى هى لتوبيخى . فكنت اكتب واجباهم دائماً .

قالت لى مس دوللى أو أبلة دولت مدرسة اللغة الانجليزية :

- إنتِ يا ياسمين عندك دمعة دايماً بتلمع فى عينك بتخللى اللى يشوفك يحبك ، بيسموها كاريزما الدموع بتفتح لك كل القلوب .

- كل القلوب يا مس إلا قلب بابا ومراته .

فى المدرسة كنت أغنى كل أغنيات أم كلثوم وفيروز ونجاة أغنى فقط مع زميلاتى أنسي نفسي وأتذكر أيام جدى .

تسمح لى سنية بزيارة بيت جدى من وقت إلى أخر وكانت أمى تأتى لرؤيتى هناك وتحضر لى معها بعض الطعام الذى أحبه .

بدأت أرضي بحياتى برغم قسوتها عمل شاق فى البيت ، وطاعة عمياء جعلا سنية ترضي عنى قليلاً وتثق بى كثيراً فأنا لا أحكى لأبي أى شيئ ، فأبي لن يفعل أى شيئ ، وهكذا استطعت تحاشي لسانها القاسي السليط .

فى المدرسة هزار ومرح وشعر وغناء مع صديقاتى ونشاط لا يهدأ وعزيمة لا تفتر ، حتى جاءت حادثة سليمان خاطر ، رأيت طلاب المدرسة الثانوية ثائرون ، فإقتربت لأسمع أحد الطلاب يحكى ما حدث .

قتل الأمن سليمان خاطر إرضاءً لإسرائيل. سليمان خاطر ابن الشرقية المجند ، الذى قَتل الاسرائييلين . ثم قام بتسليم نفسه ،

قتلهم لأنهم كانوا سكارى عبروا الحدود ليلاً ، رجالاً ونساء ووضع فى الحجز منتظراً أن يحاكم .

فشنقوه فى زنزانته . وإدعوا انه إنتحر .. قتلوه إرضاءً لإسرائيل حليفهم . ولماذا ينتحر وقد تحول إلى بطل قومى !

فوجئت بكل الكبت المحتبس بداخلى يخرج فى صورة هتاف . تبعت الشباب الثائر وسرنا فى الطرقات هاتفين

.. يسقط الخونه .. يسقط العملاء .. يا مبارك خللى بالك المنصة فى انتظارك .. يسقط عملاء صهيون ..

سمعت آذان العصر جالت برأسي صورة سنية وهى تنادى وتبحث عنى ، صرخت ورفعت صوتى أكثر وأكثر .. هتفت خلفهم أحمد رشدى يا جبان لم كلابك من الميدان ،

ظللنا طيلة اليوم نعبر عن مشاعرنا ، قُتل سليمان .. نعم قُتل ولن نعيده بهتافنا .. لكنه كان صوت الغضب المستعر بداخلنا .. وجدنى أبي أسير فى المظاهرة سار بجانبي وأمسك يدى وهتف معى قرب منزلنا أحاطنى بذرراعه وأخذنى لنخرج من المسيرة وننعطف فى شارعنا .. ثم أدخلنى البيت وأدخلنى حجرتى .. أمام نظرات سنية الغاضبة .. ثم أحضر لى الطعام وتناولناه معاً كان يضمنى إلى صدره ويمسح على شعرى ويقول :

- بنت أبوكى يا ياسمين .

ثم حكى لى كثيرا من ذكرياته عن حرب سبعة وستين وحرب تلاته وسبعين ، نمت من الأرهاق خرج من حجرتى وقال لسنية :

- ياسمين تعبانة بلاش حد يكلمها .

لم تجرأ سنية على اقتحام حجرتى ليلتها .. فى الصباح خرجت للمدرسة دون تحضير الإفطار لكنى عدت مبكراً قبل عودة سنية من زياراتها اليومية وحاولت إرضاء سنية وطبخت للغداء عادت فوجدت الطعام معداً فلم تقل شيئاً .

هكذا سارت حياتى حتى وفاة سمية زوجة خليل .

(٧)

كانت سمية زوجة خليل شخصية محبوبة جداً من الجميع حتى من سنية نفسها (التى كانت نادراً ما تُعجب أو تحب إنساناً)

فــ سمية طيبة وجميلة وحزينة وسر حزنها هو زوجها خليل نفسه ، الذى كان يعايرها بإنجاب البنات وكثيراً ما كان يشتمها ويضربها لأتفه سبب .

كان خليل يشرب المخدرات ويتاجر فيها .. فى البداية كانت التجارة ليؤمن تموينه اليومى من المخدر ، ثم وجدها تجارة رابحة . فعمل بها ،

وللأسف كان أبي يشرب معه المخدرات ويتحمل صداقة خليل ويفتح له بيتنا لسببين ، الأول أنه يشرب

مجاناً . والسبب الثانى حتى لا يعلم أحد أن أبي يشرب المخدرات .

فكان خليل وأبي يسهران معاً كل ليلة فى بيتنا لشرب المخدرات .

كنت أكره خليل .. كانت نظراته لى وقحة ، يتفحصنى كلما رآنى . ثم يغمز لسنية قائلاً :

– آه يا رمان .. أو يقول أه يا ليل يا قمر دى الفاكهة طابت على السجر

فتضحك بغباء .. كانت تظن أنه يسامرها .

كانت سمية حامل فى الشهر السادس ، برغم حذير الأطباء لها من الحمل لأنه سيقضى على حياتها لضعف قلبها لكنها صممت أن تكمل حملها حتى تنجب ولداً لخليل ..

كثيراً ما كانت تأتى إلينا باكية من خليل الذى يضربها ويهينها ، وكانت سنية توبخها وتشتمها قائلة :

- إنتِ هطلة وكويس انه راضى بيكى روحى بوسي ايدك وش وضهر شوفى نفسك عاملة ازاى وبصي للنعمة اللى انت عايشة فيها وبصى لإخواتك .

ترد سمية :

- بس لو يدينى ريق حلو .

- يا هبلة بيأكلك لحمة وفاكهة وبيلبسك حرير فى حرير عايزة كلام حلو هتاكلى كلام .

فى إحدى الليالى إستيقظنا على صوت طرقات عنيفة على باب البيت .. سمعت صوت خليل يحدث أبي وزينات ..

- يلا يا زينات البت بتولد روحى لها .

ضربت زينات على صدرها قائلة :

- يا لهووى بتولد دى لسه قدامها بدرى .

- أعملها إيه نرفزتنى ضربتها فوقعت على الارض .

كان لسانه ثقيل يبدو أنه سكران ..

- روحى لها عندها نزيف .

رد أبي :

- وإنتَ جايلنا هنا ليه الحق هات لها دكتور .

- أخوها جاب لها دكتور يلا روحى لها .

إرتدت زينات ملابس الخروج سريعاً وعادت إليه قائلة :

- يلا تعالى معايا .

- لا لو رحت هناك هصور قتيل هقتل أخوها وأمها .

- أومال هروح لوحدى فى الليل ده ؟

- جوزك يوصلك .

إرتدى أبي ملابسه وخرج مع زوجته ..

وقفت فوق فراشي ونظرت من المنور المطل على الصالة . رأيت خليل يغلق باب البيت بالقفل ويتوجه لحجرتى .

أسرعت لباب الحجرة وأغلقته بالترباس .. كنت أرتعش من الخوف . ماذا افعل لو اقتحم حجرتى وهو سكران هكذا ؟ لا أعلم كيف استطتعت تحريك الفراش الثقيل فوضعته وراء الباب . كانت خطواته تقترب شيئاً فشيء .. دخل حجرة أخوتى ليطمأن أنهم نائمون ثم إقترب من حجرتى وبدأ يطرق الباب طرقاً خفيفاً ويناديني هامسا :

– ياسمين إفتحى الباب شوفى أنا جايب لك إيه ؟ بت أصحى يا بت يا ياسمين .

طبعاً لم أرد عليه .. كنت أرتعد من الخوف فبدأ يطرق الباب بعنف .. أعماه غضبه ولم ينتبه أن صوته أيقظ أشقائى . خرج أشرف من حجرته قائلاً :

– خالى مالك يا خالى عايز إيه من ياسمين ؟

بهت ولم يستطع الرد ثم تمالك نفسه وقال : – عايزها تجيب لى فحم وترص لى حجر هى بتنام زى القتيل كدا ؟

– لا ابدا دى نومها خفيف بس يمكن تعبانه .

– طيب روح انت اعمل لى حجر الشيشة .

– حاضر يا خالى .

إبتعد اشرف فعاود خليل المحاولة ولكن دون جدوى

الآن اطمأن قلبي .

بعد قليل عاد أبي وزوجته .. كانت سنية تبكى وتندب قائلة :

– عينى عليك وعلى بختك يا أخويا ماتت سمية وإبنها نزل صاحى ومات بعدها على طول .

وقفت انظر لهم من شباك المنور ..

سمع خليل كلمة إبنها فجلس وإنهار باكياً

– إنت حزنان عليها وانت اللى موتها ؟

قال :

– هى فى داهية لكن الواد هو اللى واجعنى ده ابنى .

نظر لهم أبي بقرف وتركهم ودخل حجرته

- إعمل حسابك أهلها هيبلغوا البوليس .. قالوا للدكتور إنك قتلتها .

- أعلى ما فى خيلهم يركبوه ناس معندهمش دم هجيب عشرين شاهد يشهدوا انى كنت بايت برا البلد .

هكذا ماتت سمية المسكينة وجلس الشيطان وشقيقته يدبران أمرهما .

إن حظى كدقيق فوق شوك نثروه

ثم قالوا لحفاة يوم ريح أجمعوه

(٨)

إستطاع خليل فعلاً أن ينجو بفعلته وبعد أيام قليلة نسي الجميع سمية .. إلا بناها اليتيمات وأمها المكلومة ..

كانت سنية أشد الناس ضيقاً وتبرماً ، ذلك أنها أصبحت مسئولة عن خليل وبيته وبناته وتركت لى شئون البيت.. وهذا ما اعتدته .

بعد أيام بدأت تقترح أن يتزوج خليل فلقد أرادت أن تتخلص من خدمته ،

عادت ذات يوم إلى البيت تكاد تطير من الفرح . كانت تنادى على من الشارع .. كنا وقتها فى شهر يونيو والحرشديد . كانت تلهث من حرارة الجو

– ياسمين .. يا ياسمين .. ناولينى أشرب حموت من الحر .

– ليه مستنتيش هناك لحد العصر ؟علشان الدنيا حر أوى .

– جايبه لك خبر سعيد .. طاقة القدر واتفتحت لك مقدرتش أصبر يا هناكى يا سعدك .

– خير النتيجة ظهرت .. أنا نجحت ..طلعت الأولى .. اتكلمى ..

– نتيجة إيه يا هبله ؟ وهو ده خبر !! ما انتى بتنجحى كل سنة وأولها وأخرها مالكيش غير الجواز .

قلت بخوف :

– لا جواز إيه أنا لازم أكمل تعليمى .

– بس لما ييجى لك سيد الرجاله يبقي لازم تطيرى من الفرح .

دخل أبي من الباب يحمل بطيخة كبيرة ناولنى البطيخة وقال :

- مالكم في إيه ؟

- تعالى يا سي على افرح معانا .

- خير نتيجة ياسمين ظهرت .. أنا كنت فاكرها بكره ولا بعده فرحينى يا سمسمة الأولى زى كل سنة ؟

- نتيجة إيه يا أخويا شوفوا الراجل .

- فيه إيه فهمونى ؟

- أنا يا بابا مش فاهمه حاجه .

- أنا هفهمك .. خليل أخويا عايز يتجوز يا سمين .

سقطت البطيخى من يدى على الأرض وتدلى فكى وإرتسمت علامات الألم والذهول على وجهى ،
وعلامات الدهشة والإستغراب على وجه أبي

بدأت سنية فى الزغردة . وخرجت ترد على
إستفسارات الجيران .. أكيد فرحتها لا توصف
ستتخلص منى ومن خدمة بيت خليل فى ضربة واحدة ،
ثم عادت إلى داخل البيت لتكمل مقالتها ..

- وشوف كمان عايزها بالجلبية إللى عليها لا هيكلفنا
أبيض ولا أسود .

وإنحنت تجمع أجزاء البطيخة المنتشرة فى الأرض ..

- عازراكى يا ياسمين الفرحة مش سايعاكى .

انتظرت اسمع رد فعل أبي .. كان صامتاً وكزته فى ذراعه
فقال :

- لكن يا وليه ده خليل أكبر منى .

- اسمع لما اقولك الراجل ميعبوش إلا جيبة .

صمت أبي ثانيةً يُدير الأمر فى رأسه ثم نظر إلى دموعى المنهمرة .. إحتضننى وقال :

- إطمنى يا ياسمين عمرى ما هغصبك على الجواز ابداً .

وضعت سنيه يدها فى وسطها وقالت :

- نعم نعم وأنت هتقدر تقول لخليل لأ ياسي على ؟!

- طبعا أقول لا وستين لأ كمان هو عافيه ولا إيه !

- طيب لما نشوف بقى شطارتك يا سبع البرمبه.

- إتلمى يا وليه أحسن قسماً بالله ألطش لك .

تركتهم ودخلت حجرتى ولا أعلم من منهما سيقررمصيرى .. بعد قليل نادانى أبي كان خجلاً لكنه قال لى :

- خليل راجل ميسور والناس كلها بتحبه وياريتك توافقى يا بنتى .

- أنا لو الموضوع ده تم هموت نفسي .. الموت عندى أهون منه .

- إسمعى بس يا بنتى أنا لما دورت الموضوع فى دماغى لقيت سنية عندها حق .

صرخت وبكيت ودخلت حجرتى وإستمر بكائى أياماً طويلة إمتنعت عن الطعام والشراب ، ولزمت حجرتى حتى عندما ظهرت النتيجة وعلمت أننى الأولى على المحافظة لم أشعر بالفرحة .. أرسلت لى أمى تطلب أن تلقانى فى بيت جدى فلم أذهب إليها .. أضربت عن الطعام والشراب ولكن هيهات كان الأمر مستحيلاً ،

قرر أبى الموافقة وتمت قراءة الفاتحة .. أسبوع كامل فى حجرتى أبكى وأدير الأمر فى رأسي ، لذا قررت اللجوء إلى الحيلة .. ودبرت خطة شيطانية .

(٩)

ألم يقل رب العالمين عنا "إن كيدهن عظيم" ويصف كيد الشيطان بقوله "إن كيد الشيطان كان ضعيفا" وقرأت فى كتب الأطفال أن حيلة الثعلب جعلته يغلب الأسد .

كانت الخطة التى إختمرت برأسي لن تتم إلا بالسياسة والمكر وسأحتاج من يساعدنى .. لكن هناك محاولة أخيرة إذا فشلت فسأنفذ خطتى .

إستيقظت على صوت خليل وضحكته الخشنة الجافة التى يتبعها بسعال ثم يبصق . ياله من شخص بغيض .سمعته يسأل سنية :

– هى ياسمين فين ؟

قالت له بامتعاض :

- فى أوضتها ست الحسن والجمال اترقت على كتافى لا شغلة ولا مشغلة .

- انتى اهمبلتى ولا إيه دى تقعد وأجيب لها عشرة يخدموها يلا قومى انجرى نادى لها .

كانت دموعى قد جفت من كثرة البكاء وازداد جسمى نحولاً وبشرتى أصبحت شاحبة .

خرجت إلى الصالة قبل أن تأتى لتنادينى ما إن رآنى أبي حتى خفض رأسه وظهر الحزن على ملامحه كنت ضعيفة واهنة لا أقوى على الكلام

جلست على المقعد المواجه لخليل سمعت طرقات على باب البيت . رأيت حازم أخى من الأم ذهبت لأحدثه أخبرنى أن أمى تريد أن ترانى فى بيت جدتى .

- بكره قبل صلاة الجمعة .

قال طيب هقولها .

ثم نظر إلى خليل وكور قبضته ثم قبلني على خدى وانصرف .

عدت إلى الصالة وجدت مجلس الشيشة قد انعقد وخليل يناول أبي قطعة من الحشيش الملفوفة بالسيلوفان ويتحدث عن جودها فى إعجاب فيتناولها أبي بلهفة ويفض غلافها وكأنها جوهرة ثمينة ثم يضع جزء منها بحرص على الشيشة ويشد نفساً عميقاً يتبعه بآخر .. إزداد اللهب اشتعالاً ناول أبي الشيشة لخليل . كان أبي يخرج الدخان من أنفه وفمه كأنه فرن قد أحترق الخبز بداخله .

إستجمعت شجاعتى وطلبت أن أتحدث مع خليل على إنفراد .. ضحك ضحكة مجلجلة جعلتنى أزداد منه إشمئزازاً ونظر إلى سنية قائلاً :

– مهى حلوة أهى وموافقة أومال بتقولى رافضة ليه ؟ وسبها سباباً وقحاً .

عاد أبي يخفض رأسه أما سنية فقالت :

- شوف البت يا ما تحت الساهى دواهى طيب ما كنت تقولى على طلباتك وأحنا عنينا ليكى .

لم أكن أفهم سر خضوع أبي وخنوعه وإنكساره أمام خليل ورضوخه لكل طلباته .

دخلت حجرة الصالون فتبعنى خليل شعرت أن نظراته كسين إنغرس فى ظهرى دخل وأمسك الباب ليغلقه فقلت له :

- سيب الباب مفتوح .

قال :

- علشان نبقي على راحتنا .

قلت :

- من فضلك سيب الباب .

- حاضر .. حاضر ده انتى عصبية أوى .. إعملى حسابك أنا بحبك آه وهموت عليكى بس دلعك ده لازم يبقي له حدود .

قلت :

- عمى خليل إنت ليه عاوز تتجوزنى ؟

عاد إلى الضحك مرة أخرى ظهرت أسنانه الصفراء القبيحة وقال :

- مش عارف .. وحك رأسه مع ان أحلى بنات البلد يتمنونى أنا راجل مقتدر وقادر بعون الله افتح عشر بيوت مش بيت واحد واستمر فى الحديث عن أملاكه وأمجاده ...

قلت :

- جميل جداً إتجوز واحده من اللى يتمنوك دول أنا عازة أكمل تعليمى وأنت قد بابا وأنا مش موافقة على الجواز .

- إنتِ صغيرة ومش عارفة مصلحتك .

- لو غصبونى على الجواز هموت نفسي .. الموت اهون عندى من إنى اتجوز واحد بتاع حشيش زيك .

رفع يده ولطمنى على وجهى صرخت وسقطت على الأرض سالت الدماء الساخنة من أنفى وفمى .

لم استطع الوقوف .. ثار أبي ثورة عنيفة وطرد خليل من البيت . قام بحملى هو وسنية .. قال خليل :

- بيت لإيه يا أبو بيت ...البيت اللى انت راهنهولى ؟ إصحى انا أقدر أطردك فى الشارع من الصبح إنت وولادك كتب الكتاب يوم الخميس .. غصب عنك وعن بنتك وإلا هرميكم بهدومكم فى الشارع .

قالت سنية متوسلة :

– كدا يا خليل وأنا ماليش خاطر ؟

فأشاح بوجهه ..

– طيب هتتجوزها بس أجل الجواز لحد ما ترد عافيتها إنت شايفها خلصانه وأنا هغذيها وأخليهالك قمر ١٤ .

ترك خليل البيت وخرج فحملنى أبي وأرقدنى فى فراشي وجلس بجانبي وقال :

– سامحينى يا بنتى غصب عنى .

قلت :

– ليه يا بابا رهنت له البيت إنت موظف كبير وعندك أرض ووعدتنى ادخل الجامعة .

خفض رأسه فى ذلة وانكسار

فأكملت قائلة :

- إنت كنت بتشتغل وتزرع الأرض وتكسب دلوقتى طول الليل سهران تشرب مخدرات وبناكل بالدين ليه كده ؟

سالت الدموع من عينه وقال :

- لو اتجوزتى خليل هيرجع لى حجة البيت والأرض .

قلت :

- الأرض .. حتى الأرض كمان ؟!

دخلت سنية قائلة :

- أبوكى الحشيش لحس دماغه ياما خليل إتحايل عليه ياخد كام تربه يوزعهم ويجيب مزاجه لكنه إستكبر بسلامته وخليل مش هيفضل يديه ببلاش على طول .

نظرت لها بإشمئزاز فتجاهلت نظرتى وأكملت :

– لازم توافقى يا ياسمين .. وإلا بيتنا هيتخرب وهنبقي فى الشارع .

لم يعد أمامى إلا الخطة البديلة ، قررت تنفيذها على الفور .

قلت :

– موافقة لكن ليا شروط .

اشرق وجه أبي بالأمل واقتربت سنية وقالت بزهو :

– خليل لو طلبت لبن العصفور هيجيبهولك .

– لا أنا مش عاوزة حاجه كل طلباتى نأجل الفرح لبعد حفلة التكريم اللى هيكرمنى المحافظ فيها .

شهقت سنية وقالت :

– ودى هتبقي أمتى ؟

- بعد شهر .. وخليل ميجيش هنا طول الشهر ده لحد يوم الفرح .

- وده ليه يعنى الشهر أنا موافقه عليه هعملك مفتقة وازغطك علشان تحلوى وتبقي قمر لكن خليل محدش يقدر يقوله ميجيش هنا .

- إنتِ هتقوليله لو عاوزة الجوازة تتم لازم انسي إنه ضربنى وأنسي كل اللى عمله النهارده .

لبست سنية ملابسها وخرجت مسرعة إلى بيت خليل .

قال أبي :

- أنا عارف أنى مكنتش ههون عليكى يا حبيبتى لا أنا ولا أخواتك .

- طيب ليه أنا هنت عليك يا بابا ؟

لم يرد على ولم ينظر إلى وجههى خرج وتركنى وبدأت أستعيد خطوات تنفيذ الخطة وأدعو الله أن يوفقنى .

(١٠)

إستيقظت مبكراً وإرتديت ملابس الخروج التى لا أملك غيرها .. كنت أشعر بالبرد برغم حرارة الجو فى فصل الصيف .. أشعر بأننى فارغة من الداخل .. أشعر بالجوع الشديد و الوحدة .

توجهت إلى بيت صديقتى زينب بنت مأذون القرية .. إستقبلتنى زينب بدهشة كبيرة لأننى لم أزرها فى بيتها من قبل ، وليست وحدها فلم أدخل بيت أى صديقة من صديقاتى من قبل فلم يكن لدى وقت للزيارات والمجاملات فأنا ربة بيت وطالبة .. كانت زيارتى مبكرة جداً .

رحبت بى زينب وأمها التى إستقبلتنى بالأحضان كان لمنزهم رائحة جميلة كانت رائحة الطعام تجعل معدتى تتقلص .

إبتلعت ريقى أكثر من مرة وطلبت مقابلة الشيخ محمد .. وجلست معه هو وزينب وتركتنا زوجة الشيخ التى دخلت المطبخ .

شرحت للشيخ خطتى .. فخطتى تعتمد عليه هو وزينب فى المقام الاول .

وافق الشيخ على التنفيذ دون مناقشة ، شعرت بإرتياح غريب مما جعلنى أوافق على تناول الإفطار معهم .

تناولت الطعام بشهية غريبة .. كانوا ينظرون إلى وأنا ألتهم الطعام ويتبادلون الإبتسام بينما أم زينب تنظر لى بإشفاق وقامت وأحضرت لى طبقاً آخر فإلتهمته وحين إنتهيت قلت بإبتسامة كبيرة :

- أسفه على طريقة أكلى بس متستغربوش انا بقالى اربع أيام مدخلش بطنى غير الميه .

قالت أم زينب :

- بالهنا والشفا يا بنتى مطرح ما يسرى يمرى.

خرجت من عندهم وأنا الأمل يملؤنى والبشر وذهبت إلى بيت جدى .. وجدت أمى تنتظرنى هناك وما أن رأتنى حتى إحتضنتنى باكية وقالت :

- هو أبوكى عاوز يعمل فيكى ايه ؟ زنبك فى رقبته .

- ذنبي فى رقبة الكل .

جلست وقررت ألا أحكى لهم شيئا عن خطتى .

قال خالى :

- وإنتِ هتتجوزى خليل تاجر المخدرات .

– وأنا هعمل إيه يا خالى إتعلمت الطاعة .

– ولكن انا مش هسكت .

قالت زوجة خالى :

– وإنت مالك دول بتوع مخدرات يتحرقوا كلهم .

نظرت لها نظرة تحمل الكثير من البغض والكراهية .

عندما عدت لبيت أبي وجدت خليل هناك ،عندما رآنى سألنى :

– إنتِ كنت فين ؟

– وإنت مالك .. انا قلت لسنية شروطى وأهمها إنى مشوفش وشك هنا لحد يوم الفرح هى قالت لك ؟

– آه قالت لى بس أنا مهونش عليكى يا ست البنات تحرمينى من أنسك شهر كامل . طيب نقرا الفاتحة

ونشترى الشبكة ونروح ونيجى علشان تحبينى وأحبك ونعرف بعض كويس .

- إطمن أنا عارفاك كويس .

دخلت حجرتى ولزمتها طول الشهر لا أتحدث مع أحد .

عَلمت سنية أن مكانتى لدى خليل ستكون كبيرة وأننى سأتحكم فى أشياء كثيرة فبدأت تحاول مداهنتى ومصداقتى فـــ تتقرب منى لكن هيهات

بدأت سنية وخليل تحضير كل لوازم الفرح من شراء الشبكة والملابس والمفروشات الخاصة بالفرح ..
إختارت هى كل شيئ ، وإرتحت من رؤية خليل حتى جاء يوم حفلة التكريم .

فى الحفلة كان والدى يجلس حزيناً .. طُلب منى إختتام الحفل بأغنية .. فغنيت مصر تتحدث عن نفسها دون مصاحبة موسيقى .

بعد عودتنا للمترل وصلتنى دعوة لحضور حفل زفاف مس دوللى مدرسة اللغة الإنجليزية ..

هذا الزفاف الذى تأخر عشر سنوات حتى عودة خطيبها من بعثة للحصول على الماجستير والدكتوراه .

ذهبت إلى الحفل أرتدى ثوبا لونه أسود مطرزا بخيوط السيرما الذهبية .. إشتراه لى والدى يوم حفل التكريم .

وغطيت شعرى بإيشارب لونه ذهبي ونظرت للمرآة لأطمئن على هندامى ثم نظرت إلى صورة جدى قائلة :

- كله تمام يا حبيبي حجاب وحشمة ووقار زى ما وعدتك بس معلش هغنى الليلة علشان خاطر مس

دوللى أنا وعدهّا من زمان .. إنتَ عارف أهّا غالية عندى أوى .

كان حفلاً رائعاً تحييه فرقة غنائية مشهورة . قالت مس دوللى أهّم أصدقاء عادل قريب خطيبى معظمهم درسوا فى الموسيقى العربية ولا يحييون الأفراح لكنهم جاءوا من أجل عادل

كنت أجلس مع زميلاتى نستمع للفرقة بعد أن أدت الفرقة فقرتين سمعت قائدها ينادى الأنسة ياسمين تتفضل على المسرح .

كان ينظر للجميع ولا يعرف من تكون ياسمين ..

رأيت مس دوللى تشير لى ثم تضع يدها على صدرها بما معناه .علشان خاطرى غنى . وفعلاً تجرأت وصعدت إلى المسرح أنا وبعض صديقاتى .

ذهبنا للعروس لنسلم عليها .. ووقفوا معى على المسرح حتى لا أشعر بالخجل .. كانت مس دوللى قد شرحت لقائد الفرقة أننى لا أغنى بمصاحبة الموسيقى .

كنت أعرف الأغنية التى تحبها مس دوللى أغنية جددت حبك ليه ، لكنى كنت أشعر بالخجل .. فى البداية خرج صوتى ضعيفاً فأغمضت عينى . وتذكرت كيف كنت أغني هذه الأغنية لجدى فإنطلق صوتى قوياً متمكناً وسمعت صمتاً مخيماً على المكان .

ففتحت عينى أنظر للجميع كانوا مشدوهين من تمكنى من الغناء بهذه البراعة لم يتمالك أعضاء الفرقة نفسهم فبدأوا بمصاحبتى بالعزف تقاسيم قليلة على العود .

عندما إنتهت الأغنية .. ظل الصمت مخيماً قليلاً ثم بدأ التصفيق الشديد .

كان أعضاء الفرقة هم من بدأوا التصفيق . طلبوامنى أن أغنى أغنية ثانية ثم ثالثة تجاوبت معهم نسيت نفسي ومشاكلى نسيت أين أنا . كنت سعيدة باسمة منطلقة .

عند نزولى من المسرح تبعنى قائد الفرقة قائلاً :

– يا أنسة اسمحى لى إنى أعبر عن أعجابي بصوتك مسمعتش زيه قبل كده أبداً .أحييكى على احساسك بالكلمات .. لو إنضممتى لفرقتنا هنبقى أشهر الفرق الغنائية .

قبل أن أرد عليه فوجئت بخليل يندفع كالثور الهائج ويلكم قائد الفرقة على وجهه ثم يحاول لكمى ،، ظهر شاب فجأة وأمسك بيد خليل فلكمة خليل على وجهه فسقط أرضا والدماء تسيل من أنفه .

أمسك بعض الرجال بخليل وأزاحوه بعيداً وأحاطتننى صديقاتى قال الشاب :

- مين المتوحش ده ؟!

ردت أحدى الفتيات :

- خطيبها .

قال قائد الفرقة :

- أعوذ بالله . ثم أخرج بطاقة من جيبه وأعطاهل لى قائلا :

- ده عنوانى وتليفونى إذا قررت العمل معنا هنرحب بيكى وهترحب بيكى الشهرة والمجد .

رنت فى أذنى آخر كلمات جدى لى يوم وفاته وسمعت صوته الضعيف يقول "هيقولوا لك شهرة ومجد أوعى يا ياسمين" .

لولا صديقاتى لسقطت أرضا فقد كنت أشعر بالتعب

اعتذرت له وسرت برفقتهن حتى البيت .

فى البيت حكيت لأبي ما حدث .. خرج خليل من حجرة الصالون وقال بصوت هادر متوعداً :

- كلها ثلاث أيام وهتبقي ملكى فى بيتى وهربيكى .

(١١)

إستيقظت لأجد إستعدادت البيت كله لحفل الزفاف ..

أرسلت رسالة لزينب للتأكيد على الخطة .

دخلت إمرأة غريبة الشكل إلى حجرتى وجلست بجانبي

قالت :

- لا تؤاخذيني يا بنتى دخلت بدون استئذان ؟ عندما

كشفت وجهها عرفتها فوراً

هتفت قائلة :

- خالة رجاء أم المرحومة سمية.

- أيوا يا بنتى إستنيت فى الشارع لحد ما سنية تخرج ..

كنت عارفه إنها لازم هتروح تفطر المخفى خليل ..

وجيت أحذرك خايفة عليكى يا غالية يحصل لك زى اللى حصل لسمية .

- متخافيش .

- مخافش إزاى ده ملعون وهو اللى قتلها .

- عارفه .

- متصدقيش كلام الحب والحاجات اللى بيزغلل عينك بيها ، هو عمل كدا وأكتر لحد ما سمية وافقت عليه وبعد الجواز بكام يوم قلب على الوش التانى .

- انا عارفه كل اللى بتقوليه ده .

- أمك سابت بيتها وغضبانه عند أمها وجدتك عيانه .. كلهم خايفين عليكى وزعلانين علشانك .

- متخافيش اطمنى .

- أطمن إزاى وأنت داخله النار برجليكى .

أردت أن أطمئنها أردت أن احكى لها خطتى . لكن كشف الخطة قد يؤدى إلى فشلها . فأحتضنتها قائلة :

- إطمنى هكون بخير .

- طيب لوحصل ورحتى بيت العقرب وعيشتى فيه ، أمانه تخللى بالك من بنات سمية دول أيتام حالهم من حالك .

- حاضر يا خالة .

تركتنى وخرجت مسرعة .. بعد قليل دخل بعض النساء إلى حجرتى لتجهيزى للعرس

إستسلمت لهن وتركت نفسي بين إيديهن كقطعة قماش حتى لا تشك سنية فى نيتى .

عندما جاءت الكوافيرة عصراً لعمل تسريحة الشعر ووضع المكياج تعجبت لقصر شعرى وتحيرت كيف تمشطه نظرت إلى سنية فقالت :

– هى بتحب تقصره كدا .

قالت لها صديقتها :

– يا ويلك من خليل لما يعرف إنك كنت بتقصيهولها .

أنقذتها وناولتها طرحة بيضاء قائلة :

– أنا هكون محجبة .

وفعلاً لبست إيشارب قصير ووضعت فوقه طرحة الفرح .

بعد قليل سمعنا من يقول العوالم وصلوا .

قالت سنية بابتهاج :

– خليل جايب فرقة مغنيين وعوالم من مصر دافع لهم الشيئ الفلانى .

بعد قليل سمعت من يقول المأذون وصل كانت الكوافيرة قد أنتهت من طلاء أظافرى وتزيين الطرحة الصغيرة بتاج من الورود الدانتيل وبعض الخرز واللؤلؤ الصناعى والبستنى قرطا طويلاً من اللؤلؤ .

وقفت ونظرت للمرآة .. كنت أشعر بالدوار فجلست على الفراش وخرج من بالحجرة وبقيت سنية معى تنتظر من يأتى ليحصل على الوكالة .

فى حجرة الصالون جلس المأذون فى وسط الحشد الكبير الجميع يبدو عليهم الوجوم جلس خالى فى طرف الحجرة ..

كان خليل سعيداً ومنتشياً ومعه زبانيته . أبي كان حزيناً منكسراً .

قال المأذون :

– أين الشهود وأين وكيل العروسة ؟

ثم أخرج المأذون علبة صغيرة ملفوفة كهدية جميلة من حقيبته ووضعها أمامه وقال :

- على قسم لابد أن أبر به .

قالوا :

- وما هو ؟

قال :

- زينب إبنتى كما تعلمون صديقة ياسمين .. زينب مريضة وحلفتنى لازم أوصل الهدية دى لياسمين يداً بيد .

قال خليل :

- هاتها وأنا هديها لها .

قال المأذون :

- لا يا سي خليل يداً بيد .. ناديها محدش هنا غريب وكدا كدا هنحتاج نسمع وكالتها .

دخل الشك إلى قلب خليل فقال أبي :

- هناديها .. عقبال ما نردها لها يوم فرحها .

- فرحها يوم نجاحها يا استاذ على زينب لسه قدامها ثانوى وجامعة ، هى صحيح مش متفوقة زى ياسمين لكن أنا معاها لحد ما تكمل تعليمها .

رد خليل هازئاً :

- وعلى إيه المصاريف ووجع القلب ما دام أخرها للجواز .

- جواز عن جواز يفرق يا سي خليل البنت الجميلة المتعلمة المثقفة بنت الناس لازم تتجوز واحد يليق بيها .

كاد خليل أن يجن من كلام المأذون لكنها أطبق فمه حين دخلت الحجرة .

ناولنى الشيخ محمد الهدية وقال :

– أهلا بست العرايس .

لم استطيع النطق خجلاً وخوفاً إلتقت عينى بعين خليل المبتسمة فنظرت فى الجهة الأخرى قال خليل :

– هو ده خجل البنات المتربية ها ها ها .. بتتكسف منى

.

شعرت أن هناك طيوراً سوداء دخلت من النوافذ المفتوحة وملأت سماء الحجرة .. إنقبض قلبي وترنحت قليلاً فقام خالى بالوقوف بجانبي ليحتضننى .

سألنى الشيخ :

– مين وكيلك يا ياسمين؟ .لم أرد

قال خليل :

- أكيد الاستاذ على والدها .

نظرت إلى أبي وجدته حزيناً حاولت النطق فإنعقد لسانى .. تلاحقت انفاسي وعلت دقات قلبي وكأنني كنت فى سباق للجرى .. أشفقت على أبي مما سأقول لكنه لم يشفق على يوماً تركت حياتى لهم طيلة عمرى أنا الخادمة الذليلة

- لازم هى اللى تقول .. قال المأذون أتكلمى يا بنتى .

قال خليل :

- اتكلمى قولى أبويا .

نطقت وقلت :

- يا عم الشيخ أنا رافضة الجواز هما بيغصبونى إنى اتجوز من خليل عملوا لى شهادة ميلاد مزورة لسه مكملتش خمستاشر سنة وهو خمسة واربعين .

ثم صرخت قائلة :

- أنا رافضة .. رافضة يا عم الشيخ .

ضمنى خالى إلى صدره حمدت الله ان خالى بجانبي ..

صرخ خليل وهاج

أغلق الشيخ محمد دفتره قائلاً :

- معاذ الله أن تغصبي على الزواج .

قال خليل :

- نروح المركز المأذون الى هناك هيجوزنا غصبٍ عن التخين نكتب عقد عرفى .. الليلة دخلتى على البت دى غصب عن عينها وعين اللى يتشدد لها .

قال شيخ محمد :

- ساعتها هبلغ عنكم وعن تزويركم واسجنك إنت وعلى لإنها قاصر وإنتم بترتكبوا جريمة إتقوا الله .

إتقى الله يا على فى بنتك ضناك لحمك ودمك .

جلس ابي وقد اسقط فى يده كل ما قاله :

- كده يا ياسمين تعملى كدا فى ابوكى يا ياسمين .

ظل خالى يحتضننى وأنا ارتعش كعصفور غرق فى مياه المطر .. كانت النسوة فى الخارج فى حالة صمت يترقبن والأطفال ينظرون من الباب وما إن خرج الشيخ محمد حتى زغردن ظناً منهم أن الكتاب قد كتب لكن بعد قليل خرج خليل يسب ويلعن ويتوعد صرخ فى النسوة قائلاً :

- صوتوا .. بتظغرطوا على ايه يلعن ياسمين ويلعن أبوها ده نسب واطي .

انا أتجوز أحسن واحده فى البلد .. يا على من الصبح انت وعيال هرميكم فى الشارع .

ردت سنية :

– وهو ذنبه ايه ؟

– ذنبه إنه معرفش يربي بنته .

دخلت سنية الحجرة وأرادت أن تجرنى من شعرى فمنعها خالى .

– ايه اللى خرج بنت الكلب دى .. كنت هكتم نفسها جوه و أرد انا وأقول انا موافقة .. هى لعبت الملعوب ده مع المأذون وبنته علشان يناديها .

وخطفت العلبة من يدى فوجدتها فارغة قمت أنا بتغليفها وأرسالها لزينب لتعيد أرسالها لى .

– شفتوا شغل الأبالسة .

قال أبي :

– أنت يا بنتى إنت عملت كده ؟ إنت عارفه هيبقي إيه مصيرى أنا وأخواتك ؟

قال خالى :

– وانت عارف إن هى كان مصيرها هيبقي زى مصير سمية .

قالت سنية :

– يا انا يا البت دى فى البيت .

– وهو فين البيت يا ولية ؟

خرجت مع خالى من البيت وذهبنا إلى بيت جدى كان العمال يزيلون الأنوار من أمام البيت .. قابلنا مجموعة كبيرة من الرجال كانوا يهنئونى بنجاتى من خليل .

سرت مع خالى بثوب الزفاف الأبيض إنتشر الأمر بسرعة وجدت الجميع فى بيت جدى ينتظروننى ..
ضمتنى أمى لصدرها .

لم أكن أخاف على أبي .. كان يحتاج هذه الصدمة حتى يترك المخدرات ويعول أسرته أخبرنى أنه تركها منذ فترة .

أنا أيضا سأبدأ بالبحث عن عمل حتى أعيش .. لكن أى عمل هذا الذى يجعلنى أتمكن من مواصلة تعليمى ؟

كنت سعيدة لأنى عدت أنام فى أحضان جدتى وبرغم مقابلة زوجة خالى لى . إلا أن خالى وجدتى غمرانى بعطف وحنان أسعدنى كثيراً .

(١٢)

كنت سعيدة بإقامتى فى بيت جدى برغم معاملة زوجة خالى لى ، إلا أننى كنت قد أستعدت ذكريات طفولتى كلها .

كانت امى وخالاتى يجتمعن كل مساء .. كنا نجلس ونتسامر ونتذكر أيام جدى ، يطلبن منى أن اغنى .

كانت جدتى تحكى لنا حكايات طفولتها .. تتذكر طفولتها بدقة شديدة وتنسي الكثير من ذكرياتها الحديثة .

أعطانى خالى أجندة وطلب منى تدوين يومياتى فيها فـــ بدأت اكتب ذكرياتى وقصتى فى هذه الدنيا التى كانت تمنحنى الكثير من النعم ثم تضع الموانع بينى وبين ما أمتلك .

لم أجد أحداثاً سياسية تستحق التدوين فى فترة الثمانينيات ومنذ تولى مبارك الحكم فى مصر والحياة هادئة راكدة ركود الماء العفن ، غير الصالح لأى شيئ .

جلسنا ذات مساء معاً .. خالاتى وامى وجدتى غنيت أغنية أعطنى الناى وغنى .

كانت زوجة خالى تكاد تجن ولكننا لم نعرها أى أهتمام ، وكان ذلك يجعلها تحاول مضايقتى بشتى الطرق . لكننى ما عدت أتأثر . أحضرت خالتى مها لى صينية بسبوسة بالقشطة صنعتها بيدها وأحضرت أمى لب وسودانى .

أردن أن أستعيد وزنى .. جلسنا نضحك ونثرثر . كانت زينات فى الخارج تغلق الأبواب وتفتحها فى عنف وعصبية . نادتها خالتى سوسن :

– بتعملى إيه يا زيزى تعالى أقعدى معانا ؟

ردت زيات بعنف وقسوة :

- هو أنا فاضية زيكم أنا مشغولة .

خفضت صوتى قائلة :

- هى متضايقة من وجودى هنا ده حظى مبيهناليش العيش فى مكان .

- هى متضايقة مننا كلنا برغم إننا سايبين لها ميراثنا فى البيت والأرض تبرطع فيهم علشان خاطرك إنتِ و ماما .

قالت أمى :

- وأنا سجلت لك نصيبى فى البيت بإسمك علشان تعيشي فيه زى ما انتِ عايزة يعنى ليكى فيه زيها .. بحاول يا بنتى أعوضك عن الأرض اللى لهفها نعمان .. وكمان الدهب اللى كان أبوكى جايبهولى فى الشبكة مع جدتك .. تبيعيه وتصرفى منه على تعليمك أو جوازك .

- لا أنا هكمل تعليمى إن شاء الله لكن مظنش هقدر أعيش هنا .

قالت جدتى :

- إنتِ شفتى خالك يابنتى بيحبك قد إيه .. معلش إحنا بنتحملها علشان خاطر فتحى طيب وعلشان ولاده .

قلت وقد علت وجهى ابتسامة أمل :

- يوم حفلة التكريم سلمت الوزير طلب للإلتحاق بمدرسة داخلية .. والنهاردة جالى الرد بالموافقة هتعلم فى مدرسة داخلية للمتفوقات فى القاهرة وهسافر لما تبدأ الدراسة إن شاء الله .. قولولها إنى ضيفة قاعده هنا شهر واحد بس .

قالت أمى :

- خدى غويشة بيعيها حتى لو الدراسة مجانية أكيد هتحتاجى لبس ومصروف .

إحتضنت أمي وقبلتها .. قالت جدتى :

- معايا مبلغ حوشتهولها هنشترى لها به اللبس ونبيع جزء من الدهب يتحطلها فى دفتر توفير تصرف منه فى القاهرة .

بعد إنصرافهم نمت سعيدة مرتاحة البال فوجود من يهتم بأمرك ويفكر بك شيئ يجعلك مرتاحاً ، حتى وإن كان هذا الشخص ضعيف لا يملك من أمر نفسه شيئا كجدتى وأمى .

فى الصباح بدأت بمزاولة الأعمال الشاقة ، أصبح شغل البيت هواية عندى لا اشعر بالراحة إلا وكل شيئ مضبوط ومنظم ، مر اسبوع وزينات تحاول مشاكستى فلا أمنحها الفرصة .

سمعتها تحدث جارتها قائلة :

- هم وغم ونكد قاعد على قلبي بعيد عنك .

قالت الجارة :

- يا شيخة حرام عليكِ دى مبتبطلش شغل .

- آه يا ختى حمار شغل بعيد عنك مبتتهدش إيه الصحة دى .

- مسكينة .. سنية دربتها على كدا عملت فيها كتير .

- وأهى ارتاحت سنية وشربتها انا .

كانت زينات تتكئ على سور البلكونة فى الطابق الثانى ونسيت أنه متهالك لأن البيت قديم .. سمعنا صراخ الجارة فخرجنا جميعاً مسرعين فوجدنا أن السور قد إنهار وسقطت زينات من الطابق الثانى .

عندما عادت من المستشفى كانت موضوعة فى الجبس .. قالت خالتى مها :

- ده ذنبك اللهم لا شماته .

كنت أشفق على زينات .. بدأت أعتنى بها وبأولادها وأقوم بشغل البيت .

بعد يومين وجدتها تدعو لى وتشكرنى وتقول :

- مش عارفه اقولك ايه ، لولا وجودك ما كنتش اعرف كنت هعمل إيه .

كانت جدتى وخالتى يتعجبن من خدمتى لزينات التى كرهتنى طيلة عمرها وكانت سبباً فى دخولى القبر فى طفولتى .. والتى حرمتنى من البقاء فى بيت جدى .

حتى أنهن كن ينخزن زينات بكلماتهم هذه .

قالت لى خالتى :

- على مهلك على نفسك يا ياسمين ، هى متستحقش منك ده كله ، متنسيش إللى عملته فيكى زمان .. وميغركيش إنها بتضحك فى وشك علشان بتخدميها لسه قلبها مش طايقك .

– يا خالتى سيدنا عمر ابن الخطاب له مقولة جميلة " لو اطلع الناس على ما فى قلوب البعض لما تصافحوا إلا بالسيوف " فخللى اللى فى الوشوش مقبول وخللى القلوب لرب القلوب .

هحكى لك حكاية يا خالتى عجبتنى اوى ..

كان لعبد الله بن الزبير مزرعة فى المدينة المنورة بجوار مزرعة لمعاوية بن سفيان ، وكان بينهما عداوة ، فكان عمال مزرعة معاوية يدخلون مزرعة بن الزبير فيغضب ابن الزبير فتكرر منهم ذلك مرات كثيرة فأرسل ابن الزبير رسالة لمعاوية قال فيها : "من عبد الله بن الزبير إلى معاوية بن هند (آكلة الأكباد) أما بعد /

إن عمالك دخلوا مزرعتى فمرهم بالخروج منها وإلا فـــ والذى نفسي بيده ليكونن لى معك شأن ".

وصلت الرسالة إلى معاوية وكان من أحلم الناس فقراها ثم أعطاها لولده يزيد فقال لوالده لترسلن له جيشا أوله عنده وأخره عندك يأتيك برأسه .

قال معاوية : بل خير من ذلك زكاة وأقرب رحماً فكتب رسالة لإبن الزبير يقول فيها .

من معاوية ابن أبي سفيان إلى عبد الله بن الزبير ابن (ذات النطاقين) أما بعد والله لو كانت الدنيا بينى وبينك لسلمتها لك ، ولو كانت مزرعتى من دمشق إلى المدينة لدفعتها لك فإذا وصلك كتابي هذا فخذ مزرعتى إلى مزرعتك وعمالى إلى عمالك ، فإن جنة الله عرضها السموات والأرض .

فبكى عبد الله بن الزبير حتى بل لحيته وسافر إلى معاوية فى دمشق وقبل رأسه .

قالت جدتى :

– قصة جميلة يا ياسمين زى القصص اللى كان بيحكيها لنا جدك .

– أنا قرأهما فى كتاب من كتب جدى .

وإستمر الحال لمدة شهر ونصف حتى أننى أخرت ذهابي للمدرسة حتى تتعافى قليلاً وهكذا إستطعت نقل زينات من خانة الأعداء إلى خانة الأصدقاء لدرجة أنها بكت يوم ذهابي للمدرسة وأعطتنى شالها الصوفى لأستعمله فى الجو البارد .

فى القاهرة بدأت حياتى الدراسية وقد تعلمت درساً هاماً وهو من قوله تعالى "إدفع بالتى هى أحسن فإذاالذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم" .

(١٣)

أقمت فى مدرسة البنات الثريات .. لم أحاول مجاراتهن أو تقليدهن فى شيئ .. إنطويت على نفسي حتى لا أثير حفيظتهن أو أكتسب عداوتهن . كن من بنات المليونيرات يذهبن لقضاء الصيف فى باريس .

جئن من أسر مفككة مثل أسرتى يتيمات أو من أسر مطلقة دفعتهن زوجات الأب أو زوج الأم للإقامة فى مدرسة داخلية .. ومنهن من قتل والدها والدتها فلم يبق لها أحد .. أو دخل والداها السجن فى قضايا مالية أو جنائية .

المدرسة أيضا ضمت مجموعة من الفتيات العربيات .. كان فراشي فى ركن بعيد .. أحضرت معى ستارة مطرزة شغلتها لى أمى وأحطت بها فراشى وكان مكتبي

بجوار الفراش . انام وهن مستيقظات . فإذا هدأ صخبهن ونمن وكنا فى الغالب ننام مبكرات لأننا نستيقظ مبكراً كنت بعد أن ينمن أستيقظ وأبدا المذاكرة .

لم أرد أن يشعرن بوجودى فى الفصل كنت أجلس هادئة . لا أشارك حتى يبدأ المعلم بسؤالى فأجيب .

فى الصف الأول الثانوى درسنا عهد النهضة الأوربية .. أعجبتنى رسومات مايكل انجلو وليوناردو دافنشي . وفى اللغة العربية كنا ندرس الشعر والأدب فى العصر الجاهلى ولا أعلم سر إصراراهم على إفتتاح تعليمنا الأدب والشعر بأصعب العصور اللغوية .

لماذا لا يبدأون معنا بالعصر الحديث وهو الأقرب للغتنا ومفاهيمنا ثم نتعمق بالتدريج إلى العصور القديمة .. كان شعر المعلقات صعب جداً نحفظ جميعاً أبيات أمرؤ القيس فى وصف فرسه .

مِكرٌ مِفرٌ مُقبلٌ مُدبرٌ معاً كجلمود

صخر حطه السيل من علِ .

كانت المدرسة تحرص على جعلنا نمارس الهوايات مثل الرسم والعزف على الألات الموسيقية المختلفة ، وكتابة الشعر والتدريب على إلقائه والخطابة وممارسة الرياضات المختلفة مثل التنس وكرة السلة والكرة الطائرة وكرة القدم والسباحة .

كل الفتيات كنَ يعرفن كل هذه الأشياء وبالتالى اختارت كل واحده الرياضة التى تحبها وانضمت لفريقها وإختاروا الآلات اللآتى يحببنها .

لكنى لم المس آلة من قبل إلا الربابة

عندما سألنى مسيو بيير عن الآلة التى حاولت العزف عليها من قبل قلت الربابة فقال ما معنى الربابة وعندما حكيت له حكايتى مع الربابة ظننى أمزح .

كان الراوى الشعبي يأتى على فترات زمنية متقاربة ومعه ربابته وابنه ليقيم فى قريتنا فترة من الزمن يحكى حكايات أبو زيد الهلالى والزناتى خليفة وغيرها من قصص التراث الشعبى ، وكنت أدخل واجلس مع جدى وضيوفه وأستمع لقصصه الجميلة وطلبت منه ذات مرة أن يعلمنى العزف على الربابة .. فحاول تعليمى ذلك لكنى وجدت أن الآلات الوترية صعبة .

حاولت ممارسة الرسم كهواية لكنى لم أتقنه أبداً لكنى أتقنت العزف على البيانو برغم أننى كنت أرى البيانو لأول مرة فى حياتى . فى خلال العام والنصف وهى الفترة التى قضيتها بالمدرسة منحنى مسيو بيير معلم مادة الموسيقى شهادة بيانست مختومة وموقعه منه تؤهلنى للعمل كعازفة بيانو محترفة . تعلمت السباحة أيضاً لم أكن قد رأيت بحراً فى حياتى كلها . لكننى كنت احب البحر . وعندما ذهبنا فى رحلة مع المدرسة للإسكندرية

طوال ثلاثة أيام لم أغادر الماء ولا البحر . لم أكن أترقب الأجازات مثل زميلاتى فلم أكن ارغب فى قدومها .
كنت أشتاق لأهلى لكنى بحكم التجربة علمت ان ابتعادى عنهم أكثر راحة لى ولهم .

إستطعت أن أحظى ببعض الصديقات وأوطد علاقتى معهم برغم ثرائهم إلا أننا جميعا كنا بعيدين عن أهلنا

كانت صديقاتى لطيفات معى إلا رانيا زميلتى تتعامل معى ببرود وتعالى ، تنطق اسمى بنبرة حادة يجعل الجميع ينتبه لصوتها المزعج . وتتعامل معى بخبث يجعلنى أتعجب من كراهيتها لى ، لم اكن أعرفها إلى حد أن تكرهنى . لكنه قدرى .

لم أعد إلى القرية إلا فى إجازة نهاية العام .. فى إجازة نصف العام كانت المدرسة تقيم معسكراً للطالبات فى الفيوم فإشتركت فى المعسكر حتى لا أعود للبلد .

كنت أحاول دوماً الهروب من بلدتى ومن ذكرياتى بها .

كنت سعيدة جداً بالمعسكر برغم إنفاقى لبعض المال فى شراء حذاء وملابس رياضية ، كان الجو دافئاً نسبياً طوال الأسبوع ، إلا ان القرعة التى أجراها المشرف على الرحلة جعلتنى فى نفس المجموعة مع رانيا وصديقاتها مما جعلنى أشعر ببعض التعاسة .

كان بورودهن فى التعامل معى يعكر مزاجى .

المسافة بين القاهرة والفيوم ليست كبيرة ، كان جزء كبير من الطريق مظللاً بأشجار خضراء رائعة . لم يسبق لى السفر إلى الفيوم فــ كنت سعيدة جداً وكنت سعيدة أكثر بجلوسي بجوار النافذة فى طريق الذهاب والعودة .

كان شاطئ بحيرة قارون على شكل هلال سحرى لون المياه الأزرق الداكن ، كانت تحف بتلك المياه جروف شديدة الإنحدار صاعدة نحو قمم غير متساوية ، كانت

حفلات السمر ليلاً رائعة كنا نوقد ناراً ونتجمع حولها ويغنى الجميع .. لم أشترك فى حفلات الغناء ولم يعلم أى شخص فى المدرسة أنى أغنى حتى لا يطالبونى بالغناء .

قررت أن أتوقف عن الغناء تماماً منذ يوم زفاف مس دوللى .

كنا نخرج نهاراً فى مجموعات إستكشافية لرؤية البرك التى ياتى إليها السياح من كل مكان لصيد البط والطيور المهاجرة .

لم تكن نزهتنا إلى البرك طويلة جداً فقد كنت أحب المشي فى هذه الطبيعة الساحرة .. كنا نجوع من كثرة اللعب والمشي فنلتهم كميات كبيرة من الطعام ونشترك جميعاً فى طهى الطعام وتنظيف الاوانى .

تقابلنا مع مدارس للبنين كانت تقيم معسكرات أيضاً وسرعان ما قامت رانيا وبعض الفتيات بالتعارف مع

مجموعات الأولاد وتبادلوا معهم الأسماء وأرقام الهواتف .. بل حددوا مواعيد فى الصباح المبكر للخروج وملاقاقم . وصل الخبر للمشرفة فقامت بمعاقبتهن

ظنت رانيا انى أفشيت السر فأصبحت تكرهنى أكثر من ذى قبل وتتعمد إهانتى فطلبت من المشرفين نقلى من مجموعتها وفعلاً إنتقلت إلى مجموعة إيمان ..

إيمان خمرية اللون جلدها حريرى لامع ، لها شعر أسود طويل . كان وجهها جميل مثل طباعها فهى دوماً هادئة وقليلة الكلام والبقاء بالقرب منها مريح .

أحببت إيمان جداً كما أحبتنى وإتخذتها صديقة مقربة .. كانت تتمتع بنفوذ داخل المدرسة فهى من أسرة عربية ثرية جداً والدها طلب حق اللجوء السياسي إلى مصر ثم توفى وهى صغيرة وتزوجت والدتها . فـــ إختارت إيمان البقاء فى المدرسة .

علمت أنها طلبت إنضمامى لمجموعتها وعند عودتنا إلى المدرسة إنتقلت للإقامة فى حجرتها التى لا يقيم بها سوى ثلاث فتيات فقط .. أصبحت أنا احداهن .أما أمل الفتاة الأخرى فكانت خجولة وهادئة جداً إلى حد منعنا من أن نكون أصدقاء .. لكنى أحببتها أيضاً كانت بيضاء فى وجهها نمش وشعرها لونه نحاسي فى صوتها بحة لطيفة .

بالطبع لم اشترى أى شيئ من الفيوم لا هدايا تذكارية ولا تحف ولا طعام إضافى فقد كنت أكتفى بما يقدمونه لنا . ولا أريد إنفاق المزيد من النقود .

أنفقت فى العام الأول جزء كبير من مشغولات أمى الذهبية .

وفى اجازة آخر العام عدت إلى القرية لأجد الكثير من المفاجآت فى انتظارى . فخالى فتحى جاءته إعارة لدولة الكويت وسيسافر قبل بداية العام الدراسي التالى .

وبالتالى ستذهب جدتى لتقيم مع خالى شكرى فى الإسكندرية .

لذا أقمت معهم مدة الأجازة وبقيت مع جدتى بعد سفر خالى فتحى وزوجته وأولاده .. سافرت جدتى وسافرت بعدها بأيام .. طوال الطريق فى عربة قطار الدرجة الثالثة الممتلىء بالباعة الجائلين المكتظ بركاب جاءوا إلى القاهرة حالمين بلقمة عيش أو مثلى طلاب علم .
أومتوجهين لزيارة الأطباء .. كل هؤلاء .. كنت أشغل وقتى فى تاملهم .

لكنى الآن منصرفة عنهم كنت مشغولة البال بجدتى .. كان قلبي يعتصر ألما لبكاءها حين رحلت ، كيف ستحيا تلك السيدة ربة البيت وصاحبة الأمر والنهى ، كيف ستحيا بعيداً عن بيتها وقريتها التى عاشت بها ستين عاماً كاملة لم تغادرها إلا قليلاً ، وكيف ستعاشر تلك الإنجليزية الباردة .

رأيت هيلين زوجة خالى مرات قليلة ورأيت خالى مرات أكثر بقليل فوجدته قد تطبع بطبعها ، ترى هل صار بارداً مثلها ؟ أكونه جراحاً أثر فى ملامحه ؟

عندما أعطانى مظروفاً به مبلغ من المال كمساعدة إعتذرت عن قبوله فطواه ووضعه فى جيبه .

أما خالى فتحى فقد أصر أن أخذ منه المال ووضعه فى حقيبتى . قال :

– عارف إن نفسك عزيزة لكن انا خالك ومحدش يتكسف من خاله .

كانت زوجة خالى صارمة فى قوانينها قبلت العيش فى مصر لكنها نقلت إنجلترا معها بطباعها .

أشفقت على جدتى .. حاولت خالاتى طمأنتى قائلات جدتك طيبة وتعرف تعاشر القرود . إنتِ شايفه وقتها كله بتقضية فى الصلاة وقراءة القرآن وصحتها الضعيفة

هتخليها محتاجة تعيش فى بيت كله دكاترة . فكرى فى نفسك إنتِ .

مرت ثلاثة أشهر فى العام الثانى وإقتربت أجازة نصف العام .. كنت اترقب إعلان معسكر الكشافة .. فلم يعد بإمكانى العودة للبلدة فبيت جدى أغلق وأصبح خالياً من السكان .

إستدعتنى المشرفة لمقابلة محاسب المدرسة . شعرت بالقلق .. لم ادخل حجرة المحاسب من قبل .

(١٤)

نظر لى المحاسب وقال مشفقاً :

– للأسف هقولك خبر مش كويس يا ياسمين .

تلعثمت وهبط قلبي فى قدمى إرتعش صوتى :

– خير يا استاذ حد جرا له حاجه ؟

– لا اطمنى دماغك راحت فين .. لكن الإعتماد المالى اللى كان بيسمح لك بالإقامة المجانية اتلغى .

إنهارت قواى فجلست على اقرب مقعد وقلت فى صوت يشبه الصراخ :

– اتلغى ليه ؟ مهو أنا طلعت الأولى على المدرسة السنة اللى فاتت !!

كانت المشرفة تنظر لى بإشفاق وقالت :

- وأحسن واحده فى فريق الشعر والخطابة وكرة التنس والبيانو ومع ان عمرها لا عزفت بيانو ولا لعبت تنس ولا السباحة لكن عندها إرادة رهيبة علشان تتعلم وتتفوق .

رد المحاسب :

- أيوه يا مس عفاف سبع صنايع والبخت ضايع.

قلت بألم :

- المهم الإعتماد اتلغى ليه ؟

- هو أنت مش عايشة فى الدنيا الوزير إتغير والوزير الجديد رفض التوقيع على الإعتماد وقدمنا له التماس دى المديرة بنفسها راحت قدمت الإلتماس علشان متحسيش بشيئ .. لكنه رفض .

- والسبب رفض ليه ؟

- طالما فى مدرسة تقرب من بيتك بما لا يزيد عن عشرين كيلو متر وطالما انت والدك موجود .

- ممكن أروح أقابله ؟

- متحاوليش .. المديرة عملت كل شيئ وقالت انها معتمدة عليكِ فى المسابقات لكنه رفض رفضاً تاماً .

قالت مس عفاف :

- أصلك متعرفيش المصروفات هنا كام .. دى أرقى مدرسة فى مصر كلها .. الثانويه هنا أفضل من شهادة جامعية ولا حد فينا يقدر يدخل ولاده المدرسة دى .

ذهبت لحجرة المديرة باكية .. كانت المديرة حازمة وجادة وصارمة فى تعاملها معنا لكنى ولأول مره أراها حنونة ضمتنى لصدرها وقالت :

- ياريت كان بإيدى حاجه أقدر اعملها .. كل اللى هقدر أعمله إنك تفضلى هنا لحد أجازة نصف السنة .. بعد شهر هترجعى بلدك وهنستضيفك أخر السنة على مسؤليتى الخاصة للإمتحان .

شكرت المديرة وخرجت وقد انهارت كل آلامى وطرقت طيور الشر والالم كل أبوابي ، مسحت دموعى كانت الصدمة أكبر من احتمالى .. اعيتنى الحيل .

فكرت فى البحث عن عمل فى أحد المنازل . فكرت ان أذهب لقائد الفرقة الموسيقية للعمل كمغنية أو حتى كعازفة ولكن وصية جدى ماذا اصنع بها ؟.

عندما علمت إيمان بالخبر قررت أن تدفع لى مصروفات المدرسة لكنى رفضت وعلمت فيما بعد أن الوصي القانونى عليها رفض ذلك أيضاً . لم يكن بمقدور أخوالى تحمل نفقات دراستى ولم كن لأطلب منهم ذلك .هزمتنى الحياة مرة أخرى فرضيت من الهزيمة بالإياب .

فى طريق العودة ركبت القطار محملة بمجموعة كبيرة من الهدايا التى أعطتها لى صديقاتى . حقيبة جديدة مملوءة بكتب وملابس وهدايا تذكارية . ومجموعة من شهادات التقدير .. تذكرت البرنس بطل فيلم الأيدى الناعمة فى رواية توفيق الحكيم الذى كان يحمل النيشان ليشترى بثمنه كوز من الذرة المشوى .كان يعزف البيانو مثلى ويؤلف مقطوعات موسيقية كلاسيكية فى بلد لا تسمع الموسيقى .

كنت موهوبة نعم لكن مواهبي لن تفيدنى فى قريتى .. معى ثياب لا تصلح لإرتدائها هناك . وكتب بالعربية والإنجليزية .. ابتسمت بهدوء لطفلة صغيرة تحملها أمها .

حجزت لى المشرفة تذكرة درجة أولى لكن القطار الذى ركبته كان قشاش فقطار الدرجة الأولى تم إلغاء رحلاته فى ذلك اليوم .. كانت هذه أفعال الحياة معى دائماً .

راكبة درجة أولى فى قطار درجة تالتة أنا من ركاب القشاش .. رأيت ثلاثة من المجندين يجلسون على الرف العلوى المخصص للحقائب ، أخرج أحدهم ناى من حقيبته وبدأ يعزف عليه ثم بدأ زميليه بالغناء .

كان صوت أحدهم أجش غنى أغنية عبد المطلب . أصغيت لهم بانتباه شديد ، أحببت غناءهم رغم كل شيئ وأردت أن أشكرهم ، فقد نجحوا فى صرف انتباهى بعيداً عن أفكارى السوداء .

ثم سقطت نائمة . إلى أن أيقظتنى والدة الطفلة الصغيرة فقد وصلنا وتوقف القطار .

عدت إلى قريتى فى أحضان الريف بعد إنتهاء الفصل الدراسي الاول ،عدت حزينة ساهمة ، نصحتنى خالتى سوسن بالذهاب إلى أبي ، ليتنى ما استمعت إلى نصيحتها فقد طردتنى زوجته . لكن أكثر ما آلمنى أنه رفع صوته قائلاً :

– بنتي ماتت من زمان .

فتحت لى أمي بيت جدى ، جلست معى قليلاً وقامت بتهوية البيت .. وضعت حقائبي فى أحدى الحجرات ، تركتنى أمى وعادت لبيتها مع وعد بالعودة فى المساء .خرجت وهى تحمل همى فوق ظهرها .

تمنيت أن أموت ولا أراها حزينة هكذا .. حاولت أستعادة ذكريات الماضى . إستنشقت روائح من كانوا هنا وغابوا .

دخلت وسط البيت وقفت فى حجرة الفرن تذكرت جدتى وهى تجلس بجانب نجية التى كانت تخبز لنا تناولها الأرغفة فتظل نجية تديرها بمهارة على المطرحة الخشب حتى تجعله دائرة تشبه القمر الأبيض فى صفحة السماء ثم تضعها فى الفرن وتضع بعض اللفافات من قش الأرز ثم تمد المطرحة إلى جدتى فتضع غليها رغيفاً آخر ..

كان مذاق هذا الخبز أجمل من أى خبز آخر تذوقته فى حياتى .

هاهو الفرن لا يزال قائما فى مكانه لكن أين اللهب وأين الدفء وأين رائحة الخبز ، صعدت السلم إلى الدور العلوى هناك جزء كبير مخصص لتربية الدواجن إنحنيت لا إراديا ورفعت طرف ثوبى كما كنت أفعل صغيرة لأضع بحجرى بيض الدجاج ثم أنزل السلم بحذر وأعطي البيض لخالتى أو جدتى .

وقفت بجوار سور السطح كما كان يحلو لى الوقوف لقطف ثمار التوت حاولت إستنشاق رائحة الياسمين فلم أجد له رائحة فنظرت للشجيرات الذابلة بحزن وإنهمرت دموعى .

نزلت السلم مهرولة فقد سمعت صوت صهيل شربات الفرسة التى ماتت حزناً علي جدى .

هل جننت ؟ لقد سمعت تلك الأصوات وشممت الروائح .. وضعت رأسي على الفراش فإنهمرت الدموع غزيرة .

جاءت أمى فى المساء ومعها ريهام إبنة خالتى .. لقد تطوعت ريهام لتبيت معى وأحضرت لى الطعام .

لكننى بحثت عن عمل ووفقت لذلك .

حصلت على عمل فى صيدلية الدكتور مجدى وأصبح لى راتباً يمكننى من إطعام نفسي وبخاصة عندما وجدت زوج أمى قد كتب لى على كيس الطعام كلمة بالسم الهارى .

لم أر هذه الكلمة إلا بعد أن تناولت الطعام فلم تهدأ معدتى حتى تقيأته .

صرف لى دكتور مجدى مرتب شهر مقدماً كان راتبي خمسة وثمانون جنيهاً ، فأعطيت خالتى سوسن عشرون جنيها .

كان سعر الدجاجه خمسة جنيهات وسعر البيضة خمسة قروش وسعر قطعة الجبن القريش أربعة قروش .. ملأت لى خالتى الثلاجة بيض وجبنة وإشترت فرخة قسمتها على أربعة أكياس واشترت بطاطس وطماطم وبرتقال .. طعام كثير سيكفينى لآخر الشهر .

عندما علم أخوالى بعودتى للبيت أرسلوا نقوداً أيضاً فوضعتها لى أمى فى دفتر التوفير وقالت :

– تقدرى تسيبى الشغل وقت ما تحبي .

كانت ثيابي بسيطة وقليلة جيب واحد لونه أسود وثلاث بلوزات وبلوفر وجاكيت للشتاء .

بدأت ألبس جيب تايير المدرسة الأزرق وكان عندى مجموعة من الإيشاربات ألفها على رأسي كحجاب بسيط .

كنت سعيدة أن سنية لن تقص لى شعرى بعد الآن .

كنت أستعمل حجرة واحده فى بيت جدى بها فراش ودولاب ملابس ومكتب .. علقت الستارة التى صنعتها لى أمى على النافذة وعدت أروى شجرة الياسمين فعادت لها الحياة مرة أخرى .

لم أكن أشعر بالوحدة فهذا البيت مملوء بالضجيج ، ضجيج الذكريات كل مكان لى فيه ذكرى جميلة أو ذكرى مؤلمة لكنه بيتى ومكانى المفضل فى العالم ولا أشعر بالراحة إلا بداخله .

إنتظم عملى بالصيدليه لكن حدث شيئ أزعجنى وسمعت خبراً آلمنى جداً .

(١٤)

هل تذكرون الشاب الذى تلقى عنى صفعة خليل ؟

شاب وسيم الملامح طيب القلب . لم أكن أعرفه من قبل برغم أنه من بلدتنا إلا أن لهم عزبة خاصة تملكها والدته وخاله .. أما والده فلا يملك شئ .

هو قاهرى جاء الى البلدة ومعه مجموعة من الإدعائات الكاذبة .. أولها أنه اعزب ، وثانيها أنه ثرى .

حتى تزوج من السيدة يسرية ..

كانت يسرية قد كبرت فى العمر دون أن تتزوج ، برغم جمالها وثرائها فقد كانت تخاف من الطامعين فى ثروتها .
كان لها شقيق واحد تزوج مبكراً من فتاة يحبها ، إلا أنها عندما اكتشفت أنه غير قادر على الإنجاب طلبت الطلاق . فقرر ألا يتزوج ثانيةً.

خُدعت إذاً يسرية . فتزوجت من والد عادل الذى أخبرها كذباً عن مصنعه فى القاهرة وأملاكه فى تركيا .

بعد فترة قصيرة إكتشفت كذبه .. فى البداية طلبت الطلاق ولكن عندما إكتشفت حملها بعادل قررت أن تظل متزوجة به والزمته بالعمل فى ارضها . وكانت حريصه معه فى الأمور المادية وظل هو كذلك محتفظاً بزوجته القاهرية .. أم خالد حتى توفيت .

كان يتمنى ألا يموت حتى يرث يسرية وينعم بثرائها .. يركب سيارة فاخرة بدلاً من سيارته المرسيدس القديمة التى كانت ملكاً لوالد يسرية .

رأيت خالد مرة واحدة عندما كنت صغيرة .. عندما جاء خالى شكرى للبلدة ، جاء خالد لزيارته .

كان خالد تلميذه فى كلية الطب . عندما تخرج خالد من الجامعة سافر الى بريطانيا ولم يعد الى مصر ابداً .

عادل أيضاً لم أره الا مرة واحدة ، يوم زفاف مس دوللى .

عندما زرتها بعد عودتى من القاهرة كانت مس دولى قد زاد وزنها كثيراً بسبب الحمل . رأيت صور الزفاف معلقة على الحائط أعطتنى صورة كان يظهر فيها عادل ..

سألتها عنه ، قالت بحزن :

– مسكين .. كان فى أخر سنه فى كلية الزراعة . شايفه وسامته ! كان فى قمة الأدب والذكاء .

سألتها :

– وليه كان ؟ هو ايه اللى حصل ؟

قالت :

- انتى متعرفيش ؟! اه صحيح انتى كنتى بره البلد ..
عادل اتعرض لحادث سيارة سببت له عاهه مستديمة فى يده وقدمه وحرق فى جانب وجهه .. وبرغم عملية التجميل إلا أن الحرق ترك أثراً واضحاً فى وجهه .. وصداعاً مزمناً يجعله يعيش بالمسكنات وينام ١٦ ساعة كل يوم

صرخت قائلة :

- يـــــــــا الله .. مسكين .

وبكيت حقاً وكنت حزينة عليه .

قالت مس دوللى :

- كفايه عياط ياياسمين .. لولا إنى اعرف رقة قلبك لكنت افتكرتك تعرفيه .

قلت لها :

– لا لم أقابله إلا يوم زفافك .. يومها أنقذنى من خليل .

قالت :

– عارفه .. تعرفى إنه كلمنى كتير جداً عنك . كان يتحدث عن جمالك وصوتك الجميل وكان معجباً بشجاعتك فى موقفك من والدك وخليل . وصارحنى بأنك فتاة احلامه وبرغبته بالزواج منكِ .

– منى أنا !!!

قالت :

– أيوا .. كان ينتظر تخرجه ليفاتح والدته فى أمر زواجك .

قلت لها :

– ربما كان تفكيره هذا سبباً فى مأساته .

قالت بتعجب :

– أزاى ؟!

قلت :

– اعتقد أننى منحوسه .. بمجرد تفكيره فى الزواج منى .. كاد يموت .

ضحكت مس دوللى .. فنظرت لها معاتبة .

قالت :

– دمك خفيف أعمل ايه ؟ على فكرة هو جاى هنا بعد شوية .

– مين ؟

– عادل .

– طيب همشى أنا .

– لأ هو عاوز يشوفك وهو اللى طلب منى اعزمك .

- معقول .

- والله .. جوزى راح يجيبه . أول مايدخل ياريت متحسسيهوش بحاجه أصله بقى حساس جداً .

- طب عاوز يشوفنى ليه ؟

- معرفش . لما عرف انك رجعتى طلب يقابلك .. انتى اكيد عارفه إنه قريبى وقريب زوجى .

بعد قليل دخل عادل يسير مستنداً على عصى ، وكان نصف وجهه لا تزال تبدو عليه آثار الحرق ، عندما رأيته قمت واقفه لتحيته .

قال وكأنه يعرفنى جيداً من قبل :

- ازيك ياياسمين .

- اهلاً بيك ، ازيك انت عامل ايه ؟

- ابتسم قائلاً :

– انا الحمد لله .. ثم شعر بنظراتتنا وفضولنا فقال مباشرة :

– الأستاذه دولت قالتلك انى طلبت اشوفك ؟

أومئت برأسى موافقة .

قال :

– جميل جداً .

أختار أكبر مقعد فى الحجرة وجلس عليه ثم أكمل قائلاً :

– وإنتِ أكيد استغربتِ .

قلت بإضطراب :

– فعلاً .

- كل الحكاية إنى عايزك فى شغل وسمعت إنك بتدورى على شغل .

قلت :

- أنا اشتغلت فعلا فى صيدلية الدكتور مجدى عثمان .

- ما أظنش هترتاحى هناك .

وهز دكتور مصطفى رأسه موافقاً

قلت بسرعة :

- بالعكس دكتور مجدى راجل طيب وفرحان بشغلى جداً وخصوصاً إن أنا كويسة فى الأنجليزى ، وعملى مرتب كبير .

قاطعنى عادل وقد ظهر الألم على وجهه يبدو أن الصداع قد بدأ يعاوده نقلت عينى بين وجهه ووجه مس دولى الحزين .

– ممكن تسمعينى للأخر أى مرتب هتطلبيه هديهولك .

قلت :

– هسمعك بس ممكن متتكلمش وإنت تعبان .

قال وهو يضغط على حروف كلماته وكأنه أراد أن أفهم قصده من وراء كلماته .

– دى اول مرة أخرج من البيت وخرجت علشان أعرض عليك الشغل .

قلت بحيرة :

– طيب هشتغل عندك فى إيه فى الأرض ولا فى البيت .

انتفض قائلاً :

– معاذ الله ، إنتِ ست البنات انا محتاج سكرتيرة حد يقرا لى ويكتب لى . إنتِ بتحبي الشعر وأنا محتاج حد مثقف . ثم تنهد قائلاً إيدى اليمين وعينى اليمين زى

مانت شايفه ، وأنا قررت أالف كتاب . ممكن توافقى ياياسمين .

قلت بفرحة :

– موافقة لكن بشرط .

– إي شرط ؟

– هشتغل بدون أجر عارفه إنك غنى جداً وأنا فقيرة جداً ، هفضل أشتغل فى الصيدلية وكل يوم من الساعة ٦ للساعة ٨ مساءً هكون تحت أمرك بس بدون أجر أرجوك توافق ولا تصر تدينى أجر وتجرح كرامتى .

قال متأثراً :

– موافق وهنبدأ أمتى ؟

– من بكره لو حبيت .

- هستناكى بكره مساءً . إستأذنت مس دوللى ووعدتها أن أزورها مرة أخرى عندما تضع مولودها.

فى اليوم التالى خرجت من الصيدلية فى الرابعة عصراً عدت للبيت توضأت وصليت العصر ثم أخرجت بعض بواقى الطعام وقمت بتسخينها . وتناولت طعام الغداء . بدأت فى غسل الأطباق وترتيب البيت وجدت الساعة قد تجاوزت الخامسة والنصف صليت المغرب ثم إرتديت ملابسي .. إرتديت جيبتى السوداء الوحيدة فوقها بلوزة كاروهات بها درجات اللون الأزرق وفوقها جاكيت قديم من الجيتز الكحلى وإيشارب كحلى كانت ملابسي قديمة لكنها نظيفة ومنسقة وحذائى قد قمت بإصلاحه اكثر من مرة لكن جلده لامع والإصلاحات لم تعد تظهر .

مررت فى طريقى بالكثير من البيوت التى اعرف أصحابها .. قريتنا كبيرة وبها عدد كبير من السكان

لكنهم يعرفون بعضهم جيداً ، فى قريتنا لا يوجد أسرار ولا خصوصيات .

عندما وصلت لآخر بيت فى الكتلة السكنية كان أمامى طريق طويل يؤدى إلى مترل عادل طريق خالى تماماً من المنازل ولكنه محاط بالأشجار على جانبية .. وجدت عم حسين السائق ينتظرنى على أول الطريق قال :

– أهلا يا ياسمين استاذ عادل بعتنى اجيبك لكن شفتك جاية من بعيد .

– أهلاً بيك يا عم حسين .

سرت معه فقال :

– الأرض اللى علي يمينك وشمالك دى ملك للست دولت والاستاذ فؤاد .

كانت مساحة شاسعة من الأرض الزراعية هذا الطريق المهد المحاط بالاشجار خاص بهم أيضا لم أكن أظن أن الطريق طويل هكذا .

فتحت البوابة فّإذا انا فى حديقة غناء مملوءة بأشجار لم أرى شبيها لها فى قريتنا من قبل ، لكنى رأيت أشجارا كثيرة مثلها فى الحديقة الدولية عندما ذهبت إليها فى رحلة مع المدرسة .

فى وسط الحديقة نافورة كبيرة على حوافها مجموعة من تماثيل الدولفين . لم تكن النافورة تضخ الماء لأننا فى فصل الشتاء . كلما إقتربنا من المنزل كان يبدو أكبر حجماً كان المنزل العتيق فى الواجهة على شكل مستطيل مكون من ثلاث طوابق لونه أبيض والأبواب والنوافذ لونها أزرق . قال عم حسين :

– القصر ده عمره ميت سنه على الأقل .

همست قائلة :

- قصر .

- أه طبع إستنى لما تشوفيه من جوا ماليان تحف أثرية .

تمنيت أن أعود من حيث أتيت ، صعدنا مجموعة كبيرة من السلالم ووقفنا فى الفراندا .. امام البيت كانت الفراندا فى حجم مضيفة جدى وكانت مفروشة بطقم من مقاعد البامبو عليه وسائد زرقاء مثل لون الأبواب والجهة الأخرى طقم من الحديد المشغول وعليه وسائد لونها نبيتى .. كانت الفراندا فقط تكفينى لأشعر بروعة المكان .

دخلت خلف عم حسين كان شكل المنزل من الداخل مفاجئاً أكثر من شكله الخارجى كل شيئ فيه يدل على الفخامة ، حجرة إستقبال كبيرة جداً فى إتساع خمس منازل على الأقل من منازل القرية .

كانت النوافذ المرتفعة مغطاة بستائر من القطيفه تحتها ستائر من الحرير والدانتيل .. وقفت بين فازتين من البورسيلين أكبر منى حجماً .

فى الواجهة سلم من الرخام يصعد إلى الأدوار العليا درجاته مغطاة بسجادة حمراء وفى وسط الصالة الكبيرة تتدلى نجفة ضخمة الحجم .

رأيت بالقرب من السلم بيانو أسود اللون اكبر من بيانو المدرسة . كانت الأرضيات من خشب الباركية المغطى بسجاد رائع الجمال تركنى عم حسين أنظر إلى روعة المكان بإنبهار قال بفخر عمرك شفتى مكان اجمل من كدا ؟

لم استطع أن أرد فتنحنحت محاولة السيطرة على انبهارى :

- هو مافيش حد هنا ولا إيه ؟

- لا طبعاً هـــَدى خبر لأستاذ عادل .

بمجرد خروجه ذهبت ناحية البيانو لمست بيدى أصابعة التى اشتقت للمسها فجاءت يسرية هانم مرحبة بى قائلة بود ظاهر وترحاب محبب :

- أهلاً ياسمين اهلاً يا بنتى .

كنت أراها لأول مرة .. كانت جميلة الملامح ممتلئة القوام ولكن إمتلاء معتدلاً .. تشبه عادل كثيراً عيناها عسلية .. عندما رأيتها ذكرتنى ملامحها بممثلات السينما اللاتى كن يؤدين دور الأرستقراطيات ،

سلمت عليها قالت :

- إنت جميلة زى مامتك .

- حضرتك تعرفى ماما ؟

- طبعا وأعرف جدتك كمان وجدك الله يرحمه كان صديق فؤاد أخويا وكان دايماً بيروح يسهر معاه .

جاء استاذ فؤاد ورحب بى أيضاً قائلاً :

- وياما شلتك وإنت صغيرة .. تعرفى إن جدك كان أكبر منى بخمس سنين بس يعنى لو عايش الآن كان زمان عمره خمسة وستين سنة .

تنهدت قائلة :

- الله يرحمه .

جلست بجانب الست دولت فى الصالون الصغير ثم وقفت ثانيةً ، عندما دخل عادل كان مبتسماً وجهه مشرقاً حين رآنى قال معتذراً :

- متأسف لأنى مكنتش فى استقبالك يا ياسمين بس كنت مع الدكتور .

إبتسمت وقلت :

- ولا يهمك الست دولت كانت موجودة وأستاذ فؤاد كمان .

شعر بالراحة وقال :

- إتفضلى اقعدى إحنا النهاردة هنتعارف ومن بكرا هنبتدى الشغل .

قلت :

- موافقة .

قالت الست دولت :

- أنا فرحانه بيكى يا ياسمين .

قلت بابتسامة :

– والله وأنا سعيدة بوجودى معاكم هنا كمان البيت جميل جداً –وأشرت إلى البيانو– شكله رائع نوعه إيه كان معلقاً بجانبه عود قديم .

– آه ده هبرالمانى والعود ده تركى قديم .

نظرا لبعضهم ثم نظرا لى بتعجب قال عادل :

– إنتِ بتفهمى فى الآلات الموسيقية ؟

قلت ببساطة :

– أنا درست سنتين على إيد مسيو بيير .. يعتبر من أفضل البيانيست فى مصر .

قال فؤاد :

– ياريت تعزفى حاجه .

جلست على مقعد البيانو ثم إنطلقت أصابعي ترقص فوق المفاتيح بشوق فملأت الموسيقى الجميلة القاعة ..

إنفتح فم دولت لشدة دهشتها وقالت :

- إنتِ عازفه بارعه .

وقفت بجوار البيانو وقلت :

- بعض المفاتيح محتاجه تتصلح .

قالت الست دولت :

- هو من زمان محدش عزف عليه .

قال فؤاد :

- هبعت أجيب حد يصلحه بس بشرط تبقى تسمعينا حاجه من عزفك الجميل .

هزت رأسي وقلت بفرحة :

- موافقة طبعاً .

- عادل كمان بيعزف حلو .

إبتسم قائلاً :

- هعزف لو ياسمين عزفت معايا .

رق وجهها لسماع ضحكته وتبادلا نظرة لم أفهمها فظهرت السعادة على وجه يسرية هانم انسحبت يسرية وفؤاد بهدوء حتى أنني لم أشعر بهما .

قال عادل :

- على فكرة هما حبوكى جداً.

قلت بصوت هامس :

- بيحبونى .

نظرت لوجهه فنظر إلى ، بدأت بيننا لحظة من التواصل دون كلمات ، تذكرت ما قالته مس دوللى عندما قالت إن عادل يحبنى . رفعت وجهى ونظرت له مرة أخرى فقال منهياً فترة الصمت :

- هنقعد من بكره فى أوضة المكتب .. تحي تشوفيها ؟

- ياريت .

- إتفضلى .

وأشار إلى حجرة جانبية سبقته إليها ، دخل وترك الباب مفتوح .. كان بالحجرة مكتبة تغطى ثلاث جدران كاملة ومكتب كبير وضع عليه جهاز كمبيوتر .. كان وجود جهاز كمبيوتر فى نهاية الثمانينات شيئ مذهل وخصوصاً فى الريف لكن فى هذا البيت الجميل ما عادى شيئ يدهشنى .

أشار عادل لأحد المقاعد وقال :

- إتفضلى جلست فناولنى بعض الأوراق .

دخلت خادمة تحمل صينية كبيرة عليه إبريق شاى من الصينى وفناجين وطبقين من الجاتوه أحداهما بالكريمة والأخر بالشيكولاه .

قال عادل :

- حطى اللى معاكى هنا يا فاطمة .

إبتسمت لى فاطمة وقالت :

- أهلا بيكِ .

قال عادل :

- فاطمة بنت عم منصور هى وإخواها متربيين معانا هنا أمها الله يرحمها رضعتنى يعنى فاطمة أختى من الرضاعة.

- أهلاً بيكى يا فاطمة .

ناولتنى طبق الجاتوه بالشيكولاه وقالت :

- كل البنات بيحبوا الشكولاته .

فإبتسمت وقلت :

- صحيح .

سألتنى :

- كام معلقة سكر .

- واحده بس .

ثم ناولت عادل الشاى قالت :

- استاذ عادل بيشربه ساده .

خرجت فاطمة وهى تشعر بالفخر ، كانت سعيدة بالطريقة التى قدمها عادل بها .

أخذت قطعه من الجاتوه بالشوكة وشربت قليلاً من الشاى .. نظرت لوجهه فرأيته ينظر نحوى أيضاً ثم قال :

- إتفضلى إشربي الشاى .

تجولت عيناى فى انحاء المكتبة . سألنى :

- بتحبي الكتب .

- جداً .

- دولت قالت لى ان انت بتحبي القراءة .

- المكتبة كلها تحت امرك ، إستعيرى أى كتاب يعجبك .

بدأ يستعرض معى أركان مكتبته كانت مقسمه مجموعة من الدواليب كل دولاب يحتوى على فرع من فروع المعرفة .. وقفنا أمام كتب الزراعة فقلت :

- ليه درست فى كلية الزراعة .

أكملت بإبتسامة : مكتب التنسيق برضة .

قال :

– لا أنا بحب الزراعة بحب النباتات جداً شفتى الحديقة إللى برا الزراعة وتربية الحيوانات هوايتى وكمان مصدر دخلى قبل الحادثة كان عندى مشتل كبير .

ناولنى بعض الأوراق وقال :

– ده هيكون شغلك نظرت وبدأت أقرأ .

قلت :

– خطك جميل .

– دى كتبتها قبل الحادثة ، لو شفتى خطى حالياً مش هتعرفي تقريه .

أدركت أن الدموع ملأت عينى فنظر لى بكآبة ثم حاول أن يبتسم قائلاً :

- هتكتبي ؟

قلت :

- هكتب .. أقعد فين ؟

قال :

- من بكرا هتقعدى على المكتب .. النهارده هتتعرفى على طبيعة الشغل .

- ممكن أطلب منك طلب يا ياسمين .

- إتفضل .

- ياريت تدينى وقت فراغك كله .

إبتسمت بحرج قائلة :

- وشغلى فى الصيدلية ؟

قال :

- مفيش داعى لشغل الصيدلية والمرتب بتاعك ممكن اديكى ضعفه .

وقفت غاضبة وقلت :

- أظن إحنا اتفقنا يا أستاذ عادل .

إعتذر قائلاً :

- متأسف خلاص ساعتين بس زى ما إحنا .

- ايوه .

- طيب عم حسين هييجى لك على باب الصيدلية كل يوم ويبقى يرجعك علشان بس متضيعيش وقت فى الطريق .

- موافقة .

خرجنا إلى الصالة فقابلتنا والدته بإبتسامة دافئة .

تكرر ذهابي إلى قصر عادل .. قال لى يوماً :

- عارف انك هييجى يوم هتتعبى من المشوار وتزهقى من صُحبتى .

كان يبتسم نصف إبتسامه ولكن عيناه كانتا جادتين تماماً .

قلت بهدوء :

- مش ههرب أبداً .. أولاً المشوار مبيتعبنيش عم حسين بيجبنى ويودينى بالعربية .. ثانياً أنا بستمتع جداً بقراءة أشعارك . - وخفضت صوتى قائلةً - وبِصُحْبَتَكْ .

قال مبتسماً من جديد :

- هنشوف .. عموماً بكره هترتاحى منى .

قلت بقلق :

- هرتاح إزاى ؟

- أنا بكره مسافر القاهرة عندى متابعة مع الدكتور وهبات هناك .

كنت حزينة لأنى شعرت بأن الصداع عاوده ، أطرقت صامتة .

- هتذاكرى ولا هتعملى إيه ؟ قصدى لو مجيتيش بكره هتقضي الساعتين بتوعى ازاى ؟

همست قائلة بصدق :

- مش عارفة هعمل إيه . يمكن رجلى تجيبنى هنا ولو ملقيتش حد هلف حوالين السور . اتعودت اجى هنا كل يوم .. وصدقنى بكون سعيدة أوى وأنا معاك .

تأثر بكلامى فإرتسمت إبتسامة ملائكية أنارت وجهه . ثم أغمض عينيه ووضع يده على رأسه

ناديته بقلق :

– عادل ..

ظل ممسكاً رأسه و قال :

– نعم ؟

– حاسس بإيه ؟

وضعت يدى على يده فأمسكها :

– إطمنى أنا بخير حاسس براحة كبيرة .

أتته موجة من الألم جعلت إبتسامته تزوى وجبينه يتغضن ..

قلت :

– أنده لست يسرية ولا أعمل إيه ؟

قال :

- أقعدى .

ثم ضغط جرساً فى حرف المكتب وظل يضغط عليه .. فى أقل من عشرون ثانية كان خاله وأمه ووفاطمة معنا فى الحجرة .

عندما رآهم وضع وجهه على المكتب فأسندوه وإصطحبوه لحجرته ، بقيت وحدى والقلق ينهنشنى . جاءت فاطمة وقالت :

- عادل عايز يشوفك .

ذهبت معها لحجرته .. كانت الحجرة الملاصقة لحجرة المكتب . إبتسم عندما دخلت من الباب وقال :

- أول مرة تدخلى أوضة واحد عازب ؟

قلت :

- أول مرة ادخل أوضة بالجمال ده .

أشار للشباك وقال :

- الشباك ده بيطل على المشتل .. والمكتبة دى فيها كل الشرايط والإسطوانات لأغانى كتير .

اقتربت منه وسألته :

- إنتَ بقيت كويس .

- الحمد لله كويس جداً .

قمت واقفة برغم رغبتى فى البقاء لكنى خجلت من نظرات والدته وخاله فؤاد :

- طيب أنا هروح .. أشوفك بعد بكره إن شاء الله .

خفض صوته وقال :

- هتوحشينى .

إلتهبت وجنتاى إحمراراً فإبتسم أستاذ فؤاد ..

خرجت الست يسرية خلفى .. كان وجهها لا يزال قلقاً وقالت :

– ياسمين أنت هتيجى بكره أنا عايزة أتكلم معاكى يا بنتى .

– هو حضرتك مش هتسافرى مع عادل ؟

– لا فؤاد بيروح معاه أنا بتعب من السفر .. هتيجى ؟

قلت بابتسامة :

– آه هاجى لحضرتك إن شاء الله .

كنت أذهب إلى الصيدلية فى الثامنة صباحاً ، كان يعمل فى الصيدلية شخصان ..

الأول هو "طارق" شاب من أظرف الشخصيات التى قابلتها فى حياتى ، خفة دم وسرعة بديهة .. كان متخرج حديثاً من كلية الصيدلة ، لا يكف عن المزاح

والضحك وعندما يرانى صامتة لا يهدأ له بال حتى أبتسم ثم أبدأ فى الضحك والقهقه فيقول :

- بس يخرب بيتك هتفضحينا الناس هتقول إيه ؟

كانت عيناه ترقصان طرباً لأنه يستطيع أن يجعلنى أضحك . كان مستمتعاً بذلك أكثر مما ينبغى .

جاءت أمى للصيدلية لشراء دواء لأخى الصغير حسام .. كانت تحمله على كتفها فحملته عنها فقد كانت حرارته مرتفعة وعينيه حمروان قبلته على خده .

فإحتضننى وقبلنى .. فبكيت .

أخذ طارق الروشتة من أمى وقام بصرفها لها بينما إنهمكت أنا فى الحديث معها ومع أخى . لم ينجب أبي ولا أمى أختاً لى وأنجب كل منهما ثلاثة أولاد .

كم تمنيت أن تكون لى أخت .. لكنى كنت سأحرم منها على أى حال.

بعد انصراف أمى قال طارق :

– أمك تشبهلك جداً .

– هى تشبهنى لكنها أجمل منى .. مسكينة أنا تعبتها كتير وكتير إتمنيت إنى مكنتش إتولدت أصلاً أو إنى أموت علشان هى ترتاح .

كان الحديث عن ذلك يجعلنى أشعر بالإكتئاب .

رفع حاجبيه متعجباً من كلامى .

– لما إتولدت أنا كانت أمى فى نفس عمرى تقريباً وكانت مُطلقة .. لو كانت مطلقة بدون أطفال كان وضعها هيكون أفضل طبعاً .

كان منزعجاً من كلامى .. ربما إنتقلت عدوى الإكتئاب إليه فقال بصوت يحمل نبرة التأنيب :

- أكيد .. لكن خللى بالك "لو" بتفتح عمل الشيطان وأنا شايفك مؤمنة.   إنتِ عندك كام سنة ؟

- عندى سبعة عشر سنة .. لكن اضرب كل سنة فى عشرة لإنى معشتش حياة عادية زى كل البنات اللى فى سنى .

- عارف ياياسمين .. أنا لما شفت والدتك إستغربت إنها تتجوز واحد زى نعمان .

قلت مدافعة :

- على فكرة نعمان طيب معاها وبيحبها أوى كل مشكلته فيا أنا .. وأنا بعيدة عنهم علشان ربنا يسعدهم .

- أتمنى إنهم يقدروا تضحيتك دى .

- تضحية .. بتسميها تضحية ؟

- هى تضحية فعلاً .. هما هنا كأهم بيضحوا بالجنين علشان الأم تعيش وتستمتع بحياها .

- لا أبداً مش زى ما إنتَ فاهم .

كان شعورى بالحزن شديد الوضوح فى صوتى .

قبل أن يرد دخل عم سيد من الباب .. وعم سيد هو الشخص الثانى .. راجل كبير فى السن ، يعمل فى الصيدلية من أيام دكتور عثمان والد الدكتور مجدى صاحب الصيدلية .

كان هذا الرجل يتعامل معى بكراهية شديدة ولا أعرف السبب ، ويضيق بى ويقول لى :

- يا بنتى بلاش الشغل هنا .

كنت لا أعيره اى أهتمام .

بدأ علي طارق الإنزعاج وجلس على المكتب يقلب فى الأوراق التى أمامه .

قال :

– سكتوا لما شفتونى .. كنتوا بتتكلموا فى إيه ؟

قال طارق ببرود :

– كنا بنراجع أسماء الأدوية الممنوعة فى الجدول .

بدا عليه الضيق .. لم يكن يحب أن يرانى اتحدث مع طارق ولا مع دكتور مجدى .

أما الدكتور مجدى فكان حنوناً وطيب القلب يعاملنى كإبنته .

أنهيت عملى فى الصيدلية فى الرابعة عصراً ، فعدت إلى البيت وقمت بتنظيف حجرتى وطبخت طبقاً من الأرز

.. جاءنى وليد إبن خالتى بنصف كيلو من السمك المشوى .

كنت أعطيت خالتى ثمنه وطلبت منها شراءه وشويه لى فتناولت الغداء ثم لبست ملابسى على عجل ، خشيت أن أتأخر على موعدى مع أم عادل .

عندما خرجت وجدت عم حسين أمام الباب ركبت معه وقلت :

- هو إنتَ مرحتش مع أستاذ عادل وأستاذ فؤاد .

قال بضيق :

- لا راح معاهم السواق الجديد .

- شكلك بتحب تسافر معاهم .

قال بأسف :

- كنت .. لكن خلاص بقيت عجوز نظرى ضعف والست يسرية بتخاف على أستاذ عادل .

حاولت تغيير مجرى الحديث فقلت :

- إنتَ بلدك إيه يا عم حسين ؟

قال :

- أنا من فاقوس شرقية .. مراتي وولادى عايشين هناك .. عندى ولدين فى الجامعة وتلات بنات جوزهم .

- ما شاء الله .

وصلت للقصر وجدت الست دولت تنتظرنى ، كانت عصبيتها وقلقها ظاهرين على ملامحها قلت لها :

- حضرتك قلقانه على عادل ؟

- عادل متهور يا بنتى .. صمم بعد ما خلص الفحوصات بتاعته أنه يرجع الليلة .

قلت بتساؤل :

- حضرتك خايفه علشان الليل والضلمة .

- لا .. هو مفروض يرتاح هو لما بيعمل أى مجهود بيتعب ، الحادثه كانت سبب فى إنقطاع للضفيرة العصبية فسببت له شلل فى إيده ورجله وأثرت على العصب البصرى . الدكاترة عملوا له عملية ترميم للأعصاب المقطوعة وقاموا بتطعيم الأعصاب المقطوعة بأعصاب من خارج الضفيرة . لازم له راحة لازم ينام كتير .

قلقت من كلامها ، ترى هل هى رافضة لوجودى مع عادل .

سألتها :

- حضرتك قلقانه لأن عادل بيرهق نفسه فى الكتابة ؟

- بالعكس يا بنتى الكتابة ووجودك هنا بيديه دافع للحياة هو مبقاش سعيد إلا لما شافك وبدأتوا فى كتابة الديوان .

نادت على فاطمة وقالت :

- ياسمين هتتغدى معايا النهارده .

- أنا الحمد لله إتغديت والله أشكرك .

- كده يعنى إنتِ دايماً بترفضى تاكلى هنا .

- لا إزاى باكل جاتوه وساعات فاكهة .

- وده ينفع لازم تتغدى مرة معانا .

- حاضر إن شاء الله لكن حضرتك قلتى إنك عايزانى فى موضوع .

- آه عادل قالى إنك رافضة تاخدى منه أى فلوس لكن إنتِ بتأدى عمل ولازم تاخدى أجر.

- أنا إشترطت على عادل من البداية إن عملى تطوعى .. كفاية إنه وعدنى إن إسمى هيتكتب على الديوان .. قام بتدوينه ياسمين الوردانى .

إبتسمت وقالت :

- إسمك مكتوب فى قلبي وقلب عادل .

- حضرتك طيبة جدا يا ست يسرية .

- وحشة أوى ست يسرية دى يا ياسمين .

- الناس بينادوكى كدا .. ممكن أقول يسرية هانم ؟

ابتسمت وقالت :

- لا .. قولى ماما يسرية . ده لو مكانش يضايقك .

قلت بحب :

- بالعكس ده شيئ يسعدنى .

- حاجه كمان نفسي أطلبها منك .

- حاجه ايه اتفضلى؟

ترددت قليلاً ثم قالت :

- إنت بنتى وأنا مش عايزة بنتى تتبهدل فى صيدلية مجدى عثمان وتتعرضي لزباين وحد يطمع فيكى .

قلت بهدوء :

- يعنى حضرتك عايزانى أسيب الشغل؟

نطقت كل كلمة بهدوء وتدقيق شديد :

- أيوا يا بنتى أنا خايفة عليكى .

- متخافيش والله أنا بخير ومحافظة على نفسي وبعدين الشغل مش عيب .

إلتمعت عيناها بذكاء وقالت :

- لا مش عيب لكن لازم تشتغلى شغل يليق بيكى إنتِ مش عارفه إنتِ مين وحفيدة مين ؟

نظرت فى عينها فلم أجد إلا قلقها من أجلى وإهتمامها بي .. فلم أجد شيئا أقوله لكنها لم تمهلنى ..

فقالت :

- هاه قولتى إيه ؟

- أوعد حضرتك إنى هدور على شغل تانى ، باقى شهرين على الإمتحانات .. هاخد أجازة بعد شهر ومش هرجع تانى .

- وعد يا ياسمين ؟

شعرت بأنها أحكمت إغلاق الفخ فــقلت وأنا أشعر بقرصة فى معدتى :

- وعد يا ماما تنهدت .

أغمضت عينيها ممتنة ثم فتحت عينها الواسعة وناولتنى مظروف وقالت :

- ممكن تخللى ده معاكى لو احتجتى منه حاجه .

قلت بنفاذ صبر :

- يـــــا الله .

نظرت لى نظرة غاضبة ، تناولت يدها وقبلتها ..

- سامحينى والله مقصدش .. حضرتك أنا مبقبلش المساعدة وكمان أنا والله معايا فلوس تكفينى مدة كبيرة .. بشتغل لإنى مبروحش المدرسة وعندى وقت كبير ومحتاجه أوفر فلوس علشان الجامعة .

- إوعدينى لو احتجتى حاجه تطلبيها .

تنفست الصعداء وقلت :

- الحمد لله .. - وقفت وقلت - لازم أروح أذاكر .

وقفت أيضاً وضمتنى إلى صدرها بحنان وحب:

- خدى حسين يوصلك .

- حاضر .

- فاطمة حطت لك فى العربية طبق فاكهة .. ودى هدية من الجنينة بتاعتنا .

أصدرت همهمة متذمرة .. نظرت لى وقالت :

- إنتِ مش معقولة أبداً يا ياسمين دى فاكهة من الجنينة .

قبلت خدها وقلت :

- حاضر مش هزعلك .

كان عم حسين فى أنتظارى ، ركبت السيارة وعندما ترجلت أمام البيت فوجئت به يفتح حقيبة السيارة وينزل منها أربعة أقفاص مملوءة بالفاكهة .

عضضت شفتى فى محاولة لكبح غضبي ثم أطلقت زفرة .. فى البيت قمت بتقسيم الفاكهة على عشرين كيس ووضعت طبق مملوء بالفاكهة فى الثلاجة ووزعت الباقى على أمى وخالاتى ومجموعة من جيراننا الفقراء .

فى مساء اليوم التالى ركبت السيارة بجوار عم حسين كنت .. متشتاقة كثيراً لرؤية عادل والأطمئنان على أخباره .

وجدت عادل ينتظرنى أمام الباب .. قال بشوق :

- كنت قلقان عليكِ .

غمرت الحرارة وجهى ونظرت له قائلة :

- إنتَ اللى كنت مسافر .

- لكن أنا كنت سايبك لوحدك .. إحكى لى عملتى إيه فى الساعتين بتوعى .

إبتسمت قائلة :

– جيت هنا .

– عارف وقعدتوا تنموا عليه إنتِ وماما .

– لا كانت بتتكلم عنى أنا .. خايفه عليا أوى .

– طيب طمنيها .

– أنا كدا دايماً يا عادل مصدر قلق وإزعاج للجميع .

كان يقف بجانبي فنظر فى عينى ..

– متقوليش كدا ابداً إنتِ مصدر سعادة لكل اللى يعرفك .. ولأنهم بيحبوكى أوى ولإنك غالية بيخافوا عليك .

كانت كلماته تنساب على قلبي فتزيد نبضاته .

سرت بجانبه حتى دخلنا حجرة المكتب .. لم نقابل أى شخص فى طريقنا . جلست على أول مقعد وسألته بفضول :

- أخبار الفحوصات إيه ؟

كنت أشعر أنه لا يحب الخوض فى تلك التفاصيل أو الحديث عنها ، لذا قال باقتضاب :

- الحمد لله كل شيئ مطمئن .

ثم ابتسم وقال :

- عاملة إيه فى المذاكرة .. لو محتاجه اشرح لك حاجة أنا مستعد .

- إطمن الحمد لله أنا بذاكر كويس وباخد الكتب أذاكر فى الصيدلية لما مبيكونش فيها زباين وطارق بيساعدنى .

ظهر الغضب على وجهه وقال :

- طارق بيذاكرلك .

قام فجأة وناولنى بعض الأوراق وقال :

- ممكن تكتبيها بخطك .

همست قائلة :

- حاضر .

جلس وقد حلت المعاناة محل الغضب على وجهه لم يتحدث معى ثانيةً حتى دخلت أمه فوجدتنى منهمكة فى الكتابة ووجدته يجلس كتمثال من الشمع يحدق بى .

قالت بانزعاج :

- مالكوا فى حاجه ؟

قلت بتأنى :

- إزيك يا ماما يسرية .

إبتسمت لعادل لأحاول إخراجه من حالة الضيق لكنه كان غاضباً جداً ، خرج وتركنى مع أمه التى قالت :

- عادل ماله ؟

حكيت لها ما حدث قالت بتفهم :

- آه هو طارق لمح لك بشيئ ؟

- يعنى إيه لمح لى بشيئ ؟

- يعنى بيحبك أو عايز يخطبك ؟

- لا طبعا يا ماما يسرية ولا حاجه من دى انا لسه صغيرة قدامى ثانوى وجامعة مبفكرش فى الكلام ده خالص .

بعد ذلك الموقف تغيرت معاملة عادل لى أصبح يتجنب الحديث معى ، أشعر أحياناً أنه يريد قربي وأحياناً أشعر أنه يتمنى ألا أتى مرة أخرى . لا استطيع فهمه أبداً ولا فهم تعابير وجهه .

قلت له يوماً والدموع تتجمع فى عينى :

– أستاذ عادل أنت غضبان منى من فترة ومش قادرة أعرف إيه السبب .. لو مليت منى أو مش عايزنى أجى تانى .

قال :

– إنتِ مجنونة ؟ أغضب منك ليه ؟

– إنتَ مش شايف تعبيرات وشك وإنتَ بتقابلنى . ليه بدأت معاملتك تتغير .

- أنا مش غضبان منك أبداً أنا خايف أكون بستغلك ، إنت إنسانه رقيقه وحساسه ، وبرغم الرقة والعذوبة دى إنتِ شجاعة وواثقة من نفسك .

ثم إقترب ونظر فى عينى :

- أنا غضبان من نفسي لإنى أنانى وعاجز لما بفكر فيكى بكره نفسي وبكره وضعفي .. ضعفى ده اللى بيخلليني عايزك دايماً جنبي .

أدركت أنه يعترف لى بحبه الآن دون أن يقصد الإعتراف بذلك .

بقيت هادئه ساكنه دموعى تنساب على وجهى فقال :

- أنا أسف لأنى زعلتك .

إبتسم إبتسامة حزينة ..

لم نعد نتحدث بعدها فى أى شيئ .. أصبح عادل حريصاً على تواجد أمه معنا أو خاله فؤاد دائماً

(١٥)

إقترب موعد إمتحان نهاية العام .. كثفت من وقت المذاكرة ، كنت دائماً أن أذاكر حتى فى الصيدلية ..

عندما ازور عادل أكون سعيدة ، لأنى أرسم بمجرد حضورى البسمة والسعادة على وجه عادل وبالتالى وجه كل من فى البيت ،

أردت أن أعتذر له عن مواصلة زيارتهم اليومية حتى أتفرغ للمذاكرة لكنى لم استطع من فرط رقتهم ومعاملتهم الكريمة .

قالت لى أمه يوماً :

– مش ممكن تتخيلى كم المسكنات اللى عادل بيأخذها علشان يكون صافى الذهن لما بتيجى عندنا .

كل ذلك جعلنى أخجل من الإعتذار لهم فقررت ان أخذ أجازة من الدكتور مجدى الذى قال :

– موافق وهتكون مدفوعة الأجر لكن بعد ما ننتهى من الجرد السنوى للصيدلية .

فإتفقنا على ذلك .

اما الدكتور طارق فكان يساعدنى فى المذاكرة ..

ذات يوم اعترف لى طارق بحبه .. لم اعرف كيف أرد عليه ، فصمت لكنه فاجأنى بقوله قال :

– لكن أنا فقير وإنتِ فقيرة .. متعرفيش أهلى عملوا إيه علشان اتعلم .

قلت :

– والحمد لله بقيت دكتور قد الدنيا .

قال :

- أنا طلعت من الفقر .. صحيح أنا بحبك جداً بس هدور على واحده غنية اتجوزها .. حقك على إنى صارحتك بمشاعرى .

تركته وانصرفت حتى دون أى رد ، أعتقد أنه لم يكن ينتظر منى أى رد .

حكيت لأمى وخالتى عندما جئن لزيارتى ليلاً ، قلن هو لا يستحقك ، شعرت بتعاطف أمى قلت لها :

- إطمنى محسيتش فى مره بحب من النوع ده تجاهه أو تجاه أى شخص .

سألتنى قائلة :

- وعادل ؟

- حتى عادل نفسه أعتقد إن مشاعرى تجاهه مجرد شفقة أو إعجاب به وبمثابرته .. لكنه مش حب .

غداً أخر يوم لى فى العمل .. معى مبلغ بسيط وسأقبض راتب الشهر ، سيكون معى مبلغ يكفينى حتى تنتهى إمتحاناتى ولا أضطر لسحب أى نقود من دفتر التوفير قبل عودتى للعمل إن شاء الله .

بعد خروج أمي وخالتي جلست أذاكر حتى غلبنى النوم .

رأيتنى أسير فى غابة مملوءة بأشجار خضراء ، ورأيت أمامى بعض الوحوش تجلس بهدوء ، أدركت أننى كنت أحلم ، فقد رأيت جدى ينظر لى مبتسما .

حاولت تركه والسير فى اتجاه أقرب الوحوش إلى لكن جدى كبلنى وقال لى أجرى من هنا ، رأيت طارق ينظر لى بخوف ، ثم ظهر عادل كان جدى يكبلنى ليبعدنى عن

الوحش ويدفع بى فى إتجاه طارق .. لكن طارق ادار ظهره وانصرف .

كان عادل ينادى على :

- ياسمين تعالى هنا يا ياسمين .هجم الوحش فوقى باسنانة الحادة المدببة فوقف عادل بيني وبينه فصرخت بأعلى صوتى لا ....

إستيقظت ريهام ابنة خالتى على صوت صراخى فأحضرت لى الماء لأشرب وقالت :

- أكيد ده كان كابوس .

كنت أتصبب عرقاً فمسحت لى وجهى بمنديل وجلست تقرأ لى بعض أيات الرقية الشرعية وهى تمشط شعرى بأصابعها الصغيرة حتى أهدئ وأعود للنوم .. فتظاهرت بالنوم حتى تنام هى طفلة صغيرة لكنها حنونة كأمها.

كانت ترفض سماع كلامى عندما أطلب منها النوم فى بيتهم وتصر أن تأتى لتنام معى ، فقد كانت تخاف على
.

ظننت أن ما رأيته ليس كابوساً بل رؤية فقد نمت على وضوء ، هى رسالة يحذرنى فيها جدى من شيئ ما ترى من يكون الوحش المترقب وممن سينقذنى عادل بعد أن يتخلى عنى طارق ؟

أتعبنى التفكير .. إنتظمت أنفاس ريهام ثم سمعت آذان الفجر فتوضأت وصليت .

ولم استطع العودة للنوم ثانيةً ولم استطع التركيز فى المذاكرة .. جهزت الإفطار فإستيقظت ريهام وصلت وإرتدت ثياب المدرسة ثم تناولنا الإفطار معاً .

كنت شاردة الفكر فى الرؤية ، كانت تحكى لى خناقة دارت بين زميلاتها فى المدرسة بالأمس لكننى لم أستطع

التركيز فيما تقول أعددت لها ساندويتش وناولته لها ثم إرتديت ثيابي وخرجت معها .. تركتنى عند الصيدلية لتكمل طريقها .

وقفت بجوار عم سيد وهو يفتح الباب وألقيت عليه تحية الصباح فقال :

- يا فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم اسطبحنا وصبح الملك لله .

بعد إنتهاء الجرد عرفت فى هذا اليوم لماذا كان عم سيد يعاملنى هكذا .

طلب منى الدكتور مجدى أن ادخل المعمل لأنظفه قبل انصرافى .. بعد قليل فوجئت به يدخل المعمل ويقف بالباب فقلت له مبتسمة :

- قربت اخلص يا دكتور والمعمل بقي زى الفل

قال لى :

– على اقل من مهلك .. أنا مشيتهم كلهم وجاى أساعدك .

– تساعدنى فى إيه ؟

كان ينظر لى نظرات غريبة ، وعندما إقترب منى محاولاً أن يلمس كتفى إبتعدت عنه .

كان ما يريده واضحاً فى نظراته ، كيف اتصرف مع هذا المجنون ، هل هذا تفسير حلمى ؟ فلأستمع إذا إلى نصيحة جدى وأهرب .

قلت له محاولة أن لا أبدو خائفة :

– إنتَ عاوز إيه يا دكتور ؟ إبعد عنى .

قال :

– عايزك إنتِ يا جميلة الجميلات .

واقترب أكثر .. فدفعته بعيداً عنى وخرجت من المعمل .
وجدت الصيدلية خالية ومغلقة ، أين ذهب طارق وعم سيد . كيف يتركنى طارق ؟

حاولت فتح باب الصيدلية فوجدته قد أغلقه من الداخل .. عندما خرج من المعمل خلفى فكرت بسرعة ماذا أصنع .. شعرت بجفاف حلقى ، كيف سأستطيع الصراخ .. أمسكت زجاجة كبيرة وفكرت أن أضربه بها على رأسه . قبل أن يستطيع الخوف أن يشلنى .

ربما يموت ؟ داهمتنى موجة شديدة من الألم اليائس .
إقترب منى مبتسماً ..

عندما رأيت أسنانه تذكرت اسنان الذئب التى رأيتها فى الحلم فضربته على رأسه فسقط غارقاً فى دمائه .

وأخذت المفاتيح وحاولت أن أفتح الباب . وجدت عم سيد يفتح الباب .

قال عم سيد :

– كنت عارف انه طمعان فيكى إتجننت وجيت أنقذك لما طارق قالى إن إنت والكلب لوحدكم فى الصيدلية .. يلا اخرجى بسرعة ومترجعيش هنا تانى .

خرجت مسرعة وبالفعل كنت أنوى عدم الرجوع .

عندما عدت إلى البيت كان الوقت ليلاً جلست فى البيت أنتفض من الغضب هكذا اصبحت مطمعاً للجميع لأننى فقيرة ووحيدة ،

ذهبت لأبي عندما فتح لى الباب . دخلت وجلست بجانبه أبكى أردت أن أطلب منه حمايتى .. تركنى وترك البيت كله وخرج عندما جاءت زوجته من الخارج خرجت أنا أيضا .

ذهبت لعم سيد معتذرة ..

قلت له :

- ليه مقولتليش ؟

قال :

- كنت أتمنى إن ربنا يخلف ظنى .

قلت له :

- أنا خايفة جداً .

قال :

- إطمنى ميقدرش يعملك حاجة .

ثم إبتسم وقال :

- رأسه اتخيطت عشر غرز .. بنت ابو كى صحيح .. ولما حد بيسأله راسك مربوطة ليه بيقول رف الأزايز وقع فوقه .

ناولنى ظرفا وقال :

– خدى مرتبك بعتهولك وبيقولك شوف لك شغل تانى
.

قلت له :

– أنا مش هاخد حاجه .

قال :

– ده مرتبك .

أخذت المرتب منه فالله وحده يعلم كم كنت احتاج له .. كنت أتمنى أن أجد شخصا لأحكى له .

قررت الذهاب إلى بيت عادل .. لم أكن أنوى أن أحكى له أى شيئ لكنى كنت أشعر بالسعادة عندما أكون معه.

لم أذهب هناك ليلاً من قبل .. كان الطريق خالياً من الناس فشعرت بالخوف .. بدأت أجرى حتى وصلت للبيت .

عندما رأيت البوابة الخارجية للفيللا مغلقة شعرت بالتردد وقررت العودة .. ماذا سأقول له ؟ لا يجب أن أحكى ما حدث لأى شخص .

الحمد لله أن الله أنجانى من مجدى وشره . واستدرت لأعود من حيث جئت وبدأت أجرى مرة أخرى رأيت سيارته تقف بجانبي وسمعت صوته يقول :

- إركبي .

ركبت بجانبه فى المقعد الخلفى ثم انطلقت بنا السيارة متجههة إلى الفيلا .

شعرت بنظراته الحنونه تعانق وجههى

قال عادل:

- إيه المفاجأة الحلوة دى قلتى مش هتيجى الليلة .

- حسيت إنى محتاجة أكون معاك .

دقق فى ملامحى فشعر بمعاناتى قال بلهفة :

- مالك يا ياسمين ؟

نظرت لوجهه الحنون وأنتظرت حتى عادت انفاسي تنتظم فلم أقل شيئاً .

فتحت البوابة ودخلت السيارة بهدوء ووصلت لنهاية الحديقة .. نزلت من السيارة وساعدته على النزول .

رأى دموعى قال :

- مالك اتكلمى ؟

دخلنا الفيللا وجلسنا .. سألنى ..

حكيت له كل شيئ .. كان تعبير وجهه وهو يستمع إلى غاضباً جداً . بدأ يفك الكرافته والزرار العلوى فى قميصه وكأنه يشعر بالإختناق

سألته بحذر :

- إنتَ كويس ؟

قال بصوت خشن :

- لا .

جلست صامتة أراقب وجهه .. كانت عيناه غاضبتان وكان ينظر إلى الفراغ .

ثم نظر ناحيتى قائلاً :

- إنتِ كويسة .

قلت بهدوء :

- أنا الحمد لله كويسة كنت خايفة يكون مات لكنه طلع عايش .

وحكيت له ما قاله عم سيد .

قال :

- ياريتك كنت خلصتى عليه الكلب الحقير .

كان صوته غاضباً متوتراً .

لم أكن أعلم أن أمه تسمعنا إلا عندما جاءت وقالت :

- إهدى يا عادل .

نظرت لها فقالت :

- أنا بدون قصد سمعت كل حاجه .

- أهدى إزاى يا أمى أنا هروح اقتله .

ثم أشاح بوجهه محاولاً السيطرة على غضبه .

- لكن والله لو قابلته فى أى مكان لأقتله .. أنا كنت حاسس أنه ندل وحقير .

ظللت صامتة .. لم أجد أى كلمة أرد بها على ثورته هذه . كنت أشعر بحبه لكن لم أكن أعلم أنه يحبني بهذه الدرجه .

قالت أمه :

- متخافيش من حاجه يا بنتى أنا هروح أخطبك لعادل وهتبقي معانا على طول وهعتبرك بنتى اللى مخلفتهاش .

قال عادل بصوت منخفض لكنه آمر :

- أمى .

لم تنتبه إلى لهجته الآمرة أو ربما أنتبهت لكنها تجاهلتها وأكملت :

- عادل خايف يظلمك بجوازه منك .

شعرت بأنه يتألم رفع صوته مرة أخرى وقال :

- أمى .

كانت نظرته مثبته على وجهى

فأكملت امه قائلة :

- لكن انتم الأتنين هتاخدوا بالكوا من بعض .

قال عادل بصوت متوترحزين :

- أمى من فضلك .

حاولت التغلب على خجلى وإضطرابي .. هذه السيدة تخطبنى لإبنها الآن وأنا لا أريد أن أكون فى أى مكان إلا معه .

نظرت فى الأرض قائلة بصوت هامس :

- أنا مبحسش بالراحة والأمان إلا هنا معكوا.

إبتسمت بسعادة .

ثم تركتنا قائلة :

- هخليهم يعملوا لكم حاجه تاكلوها.

وقفت قائلة :

- أنا إتأخرت .. بنت خالتى هتيجى البيت مش هتلاقيني .

- إتعشي معانا شكلك مكلتيش .. وأنا هوصلك أنا وفؤاد وهنطلبك من والدك لعادل .

ثم تركتنا وخرجت .

نظرت إلى وجه عادل بخجل فوجدته عابثاً .. حاولت انتزاعه من تلك الأفكارالتى تضايقه .

قلت :

- عادل ؟

- نعم ؟

- إنتَ زعلان منى ؟

نظر لى بحب كانت عيناه دافئتان لكنى شعرت أنه ممزق بين إختيارين .

قال :

- أنا خايف من زمان أصارحك بحبي فأخسرك ، إنتِ متعرفيش إنتِ إيه بالنسبة لى يا ياسمين ؟

ثم أكمل قائلاً :

- أظن إنى معنديش خيار دلوقتى .

تشجعت ومددت يدى لألمس يده وقلت بصوت ينضح شكراً وعرفاناً :

- شكراً لك .

رق وجهه وقال :

- شكراً على إيه ؟

قلت :

- لإنك بتحبنى .

حكيت له أثناء العشاء الحلم وكيف دفعنى جدى إليه .

سألنى :

- يعنى جدك الله يرحمه موافق على جوازنا ؟

حركت رأسي بالإيجاب ..

- كده يبقي ميهمنيش موافقة أى حد تانى .

تعجبت من الإبتسامة الاإرادية التى ارتسمت على وجهى .

قال :

- تعرفى إنى يوم الحادثة فكرت إن عمرى انتهى .. لكن إتضح إن فى لسه باقى .. أتمنى أعيشها معاكى . أنا لسه عايش بسببك إنتِ .

إبتسمت وقلت :

- أنا إتأخرت وإنتَ لازم ترتاح .

نظر إلى طبقى المملوء بالطعام وقال :

- لازم تخلصى طبقك .

كان ينظر لى وأنا أتناول الطعام لكنه كان شارد الفكر وكأنه ينظر إلى المستقبل . كان ساكنا جداً وكأنه تمثال .

سألته :

- مالك ؟

قال :

- خايف أكون هظلمك .

- تانى ؟

كان صوته هادئاً لكنه أكثر خشونه مازل يعبر عن توتره ..

- يعنى انت موافقة وأهلك هيوافقوا ؟

قلت :

- المفروض إنى اتكسف وأتقل شوية .. لكن فعلاً أنا موافقة وسعيدة .

دخلت ماما يسرية وقالت :

- أنا جاهزة وفؤاد فى البلد هيقابلنا فى بيت والدك .

لم يرفع عيناه عنى وهى تتحدث ..

وقفت نظرت مبتسمة إلى عادل ثم خرجت معها سار معنا حتى ركبنا السيارة .

كان الطقس جميلاً شعرت بالراحة الآن . كانت ماما يسرية تكاد تطير من السعادة .

أوصلتنى السيارة حتى بيت جدى ثم ذهبت إلى بيت أبي لتطلبنى منه .. دخلت البيت وقمت بتغيير ثيابي ثم توضأت .. سمعت صوت طرقات عالية على الباب فوجئت بأمي تفتح الباب بمفتاحها كانت أمي قلقة ..

قالت :

– إنتِ كنت فين يا ياسمين ريهام جت ملقيتكيش يابنتى .

– أقعدى يا ماما هصلى وأحكى لك .

جلست أمي وقبل ان انهى صلاتى طُرق الباب مرة أخرى كان القادم أبي .. نسي أبي أننى منذ ثلاث

ساعات فقط دخلت بيته وأنا منهارة لكنه لم يهتم بي .. الآن جاء والسعادة ظاهرة على وجهه .

جلس أبي ليحكى لنا كيف جاءت يسرية هانم إلى بيته لتطلبنى لعادل .. جلست هادئة .. كنت أشعر بصداع وكانت أفكارى مشوشة لكنى كنت هادئة مطمئنة .
كانت يداى معقودتان فى حضنى . إستندت بضعف إلى الكرسي أنظر إلى وجه أبي المبتسم ، كانت إبتسامته قد كشكشت زوايا عينيه السوداوين .

فهمت سبب سعادته .. عادل ثرى ربما يكون أغنى شاب فى بلدتنا والبلاد المجاورة . نظرت له أمى بغضب .. فمسك منديله ليمسح عرقاً وهمياً عن جبينه الذى أحتل مساحة كبيرة من الجلد اللامع بعد تراجع شعره الأسود إلى الخلف .

وقالت :

- إنتَ إتجننت .. عادل مين ؟

- عادل حجازى إبن الست يسرية .

- لكن ده مريض ده محتاج ممرضة .

بدأ يرد عليها بغضب فرفعت صوهّا ..

ابتسمت فى سري أول مرة فى عمرى أراهما معاً يجلسان معاً ويتحدثان معاً ليقرران مصيرى الذى تخليا عنه معاً بإرادهّما .. طيلة عمرى .

ما زاد الطين بلة هو دخول نعمان رافعاً صوته قائلاً :

- الله الله إيه اللى بيحصل هنا ده ؟

قالت أمى بسرعة :

- ياسمين جاى لها عريس .

- عريس مين ؟

قالت :

– عادل حجازى .

قال :

– ما شاء الله طول عمرك مُرزقه .

نظرت له أمى قائلة بغضب :

– أنا لا يمكن أوافق على الجوازة دى .

بدأ صوتهم يملأ رأسي بصداع شديد .. صرخت فى وجوههم :

– لكنى موافقة هتجوز عادل بعد الأمتحانات ارتحتوا .

ثم تركتهم ودخلت حجرتى ..دخلت أمى خلفى قائلة :

– يا بنتى ده عايز ممرضة .

قلت بضعف بعد أن جلست على الفراش ..

- يا أمى يقدروا يجيبوا ألف ممرضة .. عادل عايز زوجة .. عادل بيحبنى وبيخاف عليا .. عادل محتاجنى وأنا بحبه ومحتاجه له .. تعبت من العيشة لوحدى فى الدنيا .. تعبت إنى ميكونليش ضهر .

وقف أبي بباب الغرفة معطياً ظهره لنعمان . نظرت لأبي قائلة :

- عرفت أنا جيت لك ليه النهاردة .. جيت علشان كنت محتاجه لك أتحامى بيك .. جيت لأن دكتور مجدى حبسنى فى الصيدلية وكان عايز يغتصبنى .. بس انا ضربته على راسه وهربت .. أبويا عمل إيه بقا .. قال بنتى ماتت .

خفض أبي وجهه فإبتسم نعمان بشماتة.

قالت أمى :

- إنتى هتكملى تعليمك وبلاش شغل خالص وأنا هبعت لك أكلك وباقى المصاريف .. هدبرها .

- منين يا أمى ؟

أخرجت كيس الطعام وناولته لها ..

- الكيس ده انتى بعت لى فيه أكل .. شايفة نعمان كاتب عليه إيه ؟

قرأ أبي الكلمة بصوت مرتفع :

"بالسم الهارى" نعمان !!

عضت أمى شفتها وقالت :

- علشان كدا رفضتى تاخدى أكل منى تانى ؟

إبتعد نعمان عن الباب وخرج فأكملت :

- انا لوحدى فى الدنيا .. محتاجة اشتغل ومحتاجه حماية .

قال أبي :

- هبلغهم بموافقتك .

فنظرت له بغضب وقلت :

- هما عارفين إني موافقة .

فإبتسم وقال :

- ربنا يسعدك يا بنتي ويتم لك بخير .. هنقرا الفاتحة بكره بعد العصر .

خرج أبي ثم لحقته أمي ..ناديتها قائلة :

- ممكن تيجي إنتي وخالاتي بكرا من بدري علشان ننضف البيت .

قالت أمي :

- هعدي عليهم وأنا مروحة أعرفهم .

تعجبت من فرحة نعمان الشديدة فقد بارك لى أكثر من خمس مرات قبل رحيلهم .

بمجرد أن وضعت رأسي على المخدة غرقت فى النوم .

إستيقظت فى وقت متأخر ، أيقظتنى خالاتى مها وسوسن .. وجدهم مستعدين لتنظيف البيت ، جاءت بعض الجارات لمساعدهم .. دخلت خلفهم فوجدت أمى تنادى قائلة :

– لأ أنت عروسة هتقعدى معايا علشان أظبط لك فستان من دول على مقاسك .

كانت تحمل مجموعه من الملا بس على ذراعها . قبل أن أرد رأيت سنية تدخل وقد وضعت يدها على فمها إستعداداً لإطلاق زغروطة وتحمل بيدها سلة مملوءة بزجاجات الشربات وأكياس السكر ثم بدأت تقبل الموجودات جميعاً ولم تجرؤ أن تقترب منى .

تركتهم يتحدثون ودخلت حجرتى ، فتحت الحقيبة التى عدت بها من المدرسة وأخرت الثوب الذى أهدتنى إياه إيمان صديقتى كان صدره من الدانتيل الكحلى المزين باللؤلؤ والجزء الأسفل كان من الأورجانزا الكحلى أيضاً إرتديته فوجدته لا يزال يناسب مقاسي .ثم خلعته وعلقته على الشماعة وأخرجت حذاءه وعلبة الماكياج وبعض الإكسسوارات ..

كانت تلك مجموعة الهدايا التى أهدتنى إياها صديقاتى عند مغادرتى المدرسه صففتها على المائدة .. دخلت أمى وعندما رأت هذه الأشياء الجميلة قالت بفرحة :

– هو عادل بعت لك الحاجات دى ؟

أخبرتها قصة تلك الهدايا وتركتها ودخلت الحمام ..

عندما خرجت وجدت مس دوللى فى إنتظارى ..

رحبت بها فقالت إن عادل عندها بالبيت وأرسلها

لتسألنى إن كنت قد غيرت رأيي فأخبرهما أننى متمسكة به .

قالت :

– عادل حساس جداً يا ياسمين وهو بيحبك من يوم ما شافك فى فرحى ، لكن موضوع ..

ثم أكملت بخجل ..

– هو طبيعى فى كل شيئ لكن الصداع مبيسيبوش والحرق اللى فى وشه بيسببوا له ألم نفسي .

كانت أمى بالباب تستمع لكلام مس دوللى ..

– أنا عرفت عادل كويس .. ووشه طبيعى الحرق ساب أثر بسيط لكن صدقينى أنا بشوف روحه وقلبه الطيب .. إطمنى يا مس وطمنيه .

إبتسمت وإحتضنتنى قائلةً :

- كنت عارفه ومتأكده إن قلبك كبير .. ها تجي أساعدك فى حاجه ؟ أعمل لك شعرك ولا مكياجك ؟

- لا شعرى هغطيه ومش هحط مكياج يدوب كريم وكحل وخلاص .

تنهدت وقالت :

- زى ما تجي أروح أشوف ياسمين الصغيرة وألف مبروك مرة تانيه .

- الله يبارك فيكى يا مس وشكراً إنك سميتيها ياسمين .

- إنتِ بتهزرى ده عادل اللى مسميها ومكناش نقدر نرفض .

تركتنى وحدى .. كان صوت التنفيض والخبط يصم أذنى حاولت أن أذاكر فلم استطع باقى عشرون يوماً على إمتحان نهاية العام ولم يعد لدى وقت .

خرجت لأجدهن تثرثن وكلهن حماسة .. كنت أشعر بالسعادة والبهجة تغمرانى فإنضممت إليهن فواصلن التحدث عن ذكريات أفراحهن ولم يستطع أحد مقاطعة خالتى مها وهى تحكى .

كم كنت اشتاق لرؤية وجه عادل وإبتسامته الحنون .. ظننت أن سنية قد رحلت لكنى رأيتها تجلس منزوية فى أحد الأركان .

بعد أن إطمأنت خالتى على نظافة البيت عدن إلى منازلهن .. وجدت أمى تحمل لى صينية مملوءة بالطعام قالت :

- أنا دخلت المطبخ وطبخت لك الأكل اللى بتحبيه . لازم تتغدى كويس علشان وشك ينور .

قلت لها :

- بس بشرط تاكلى معايا .

جلست لتأكل معى لكنها كانت تطعمنى بيدها بدلاً من أن تأكل ..

كانت سعادتى كبيرة فإلتهمت الطعام وقبلت يدها .. تركتنى أكمل أكلى وقالت :

- لازم أروح أغدى أخواتك .. بعد ما تصلى العصر إبدأى إلبسي .. هما بيفكروا يلبسوا الشبكة ويكتبوا الكتاب .

- ليه ده كله يا ماما ؟ ميخلوها واحده واحده .

إبتسمت وهى ترتدى طرحتها أمام المرآة وقالت :

- عريسك مستعجل وبعدين إنتم تعرفوا بعض كويس .

- شكلك غيرتى رأيك يا أمى .

- كل اللى يهمنى سعادتك .. يلا هتأخر على أخواتك

.

بعد أن صليت العصر لبست الثوب الكحلى . جاءت مس دوللى قد أحضرت لى طرحة تناسب الفستان وزينة بفصوص من اللؤلؤ ساعدتنى على ارتدائها .

بعد قليل سمعنا من يقول :

– جاء العريس يلا يا ياسمين .

خرجت برفقت أمى ومس دوللى .. كانت خالاتى تسيران خلفى ، كان شعورى بالخجل يسيطر على .

دخلت حجرة الجلوس فوجدها فارغة سرت رجفة من الرعب فى معدتى قالت أمى :

– مالك الرجالة قاعدين فى المضيفة الكبيرة والستات هيقعدوا هنا .

أصابتنى خيبة أمل كبيرة . لم أحاول التظاهر بالخجل فهمست فى اذن مس دوللى :

- لكن أنا عايزة أقعد مع عادل .

إبتسمت قائلة :

- بعد كتب الكتاب هييجى يلبسك الشبكة .

- هما برضة هيكتبوا الكتاب الليلة ؟

قالت بقلق :

- أيوه انت عندك رأى تانى ؟

- لا مقصدش حاجه .

- عادل اللى طلب كده علشان تعرفوا تقعدوا وتتكلموا مع بعض براحتكوا .

جاءت ماما يسرية فوقف الجميع ليسلمن عليها قبلت مس دوللى يدها وعندما وصلت عندى إحتضنتنى فقبلت يدها أيضاً كانت السعادة بادية على وجهها ..

أبقتنى فى حضنها طويلاً .. كان حضنها حنوناً تمنيت ألا أخرج منه أبداً . جلست بجانبي وقالت بتفاخر :

– عادل وافق على كل طلبات أهلك يا ياسمين ولو طلبوا قد كدا عشر مرات كان هيوافق .

وقفت فجأة وقلت بحدة :

– طلبات إيه ؟ أنا مش عاوزة حاجه ؟

قالت :

– أقعدى يا حبيبتى ده حقك .

إلتفت إلى أمى وقلت بغضب :

– حق إيه فهمونى ؟

نظرت لى أمى بعتاب وقالت :

- مهرك وشبكتك ومؤخرك يا ياسمين زى كل البنات يا حبيبتى .

- إنتِ مالكيش تتكلمى فى كدا .

قالت ماما يسرية :

- والدك قال المهر والشبكة خمسين ألف جنية عادل قال مية الف هيتحطوا فى البنك باسم ياسمين واحنا اللى هنفرش البيت وشبكتك سوليتير فى جيب عادل .

قلت :

- ليه كل ده يا حبيبتى والله أنا مش عاوزة حاجه .

قالت أمى :

- كل واحد بيهادى بمقامه وعادل مقامه كبير .

وافقتها ماما يسرية بإشارة من رأسها وقالت :

- وكله من غلاوتك عندنا وحبنا ليكى .. ومن غير ما يطلب احنا كنا مقريين ده كله .

تملكنى الغضب فبكيت بحرقة وقلت :

- لكن مينطلبش .. أبويا مكانش يطلب .. لما تكون قيمتى بتتقدر بالفلوس .. كده هو بيرخصنى أوى .

بعد قليل جاء زوج خالتى ليسألنى عن وكيلى تمنيت أن يكون أحد أخوالى موجودا ليكون وكيلى بدلا من أبي لكننى قلت بغيظ :

- بابا .

جاء من يخبرنا ان الكتاب قد كتب وأن العريس قادم .. خرجت الفتيات الصغيرات لإستقباله .. تمنيت ألا يحدقن فيه لأنه حساس جداً .

دخل مستندا على عصاه يتبعه دكتور مصطفى وبعض أصدقائه .. كان وسيما فى بدلته الزرقاء وقميصه

الأبيض الموشي بخيوط فضيه والبابينوه الحمراء المعقودة بعناية .. وقفت لإستقباله فإقترب منى مد يده لمصافحتى وجلس بجانبي بهدوء وهو ممسكاً بيدى .

كان أنيقا فى حركاته ونظراته وكلماته الحنونه .

قال دكتور مصطفى :

– الف مبروك .. فى بلاد الفرنجة بيقولوا نعلنكما الآن زوجا وزوجة الف مبروك إنتم الآن زوجاً وزوجة .

أطلقت سنية مجموعة كبيرة من الزغاريط الطويلة .

همس عادل فى أذنى :

– نفسي أخطفك ونطير من هنا .

ابتسمت ولم أرد ..

– إيه هتفضلى ساكته كدا .. تعرفى اللون الكحلى ده جميل عليكى .

إحمر وجهي خجلاً وأيضاً لم أرد .. فمال على أمي وقال :

- هي ياسمين هتفضل ساكتة كدا كتير .

رفعت ماما يسرية صوتها وقالت :

- إن شاء الله الفرح هيكون ليلة من ألف ليلة وليلة هعمل لكم فرح متعملش لحد قبل كدا .

قال عادل وهو ينظر لى ممازحاً :

- فى واحده بس نفسي اسمعها تغنى يا أمي .

- هي مين ؟

- نفسي ياسمين تغنى .

إبتسمت وقالت :

- مفيش عروسة بتغنى يوم فرحها .

– بس أنا هخليها تغنى يوم فرحنا .. بس ليا لوحدى –

وأكمل بتساؤل – موافقة ؟

ثم استدار ونظر إلى فاستولت عيناه العسليتين على تماماً

.. ظللت أنظر إلى وجهه وقلت بهمس :

– موافقة .

كانت يده لا تزال ممسكة بيدى .. لاحظت أنهم يضعون

أطباق من الجاتوه وزجاجات المياه الغازية على المنضدة

أمامنا ثم وضعت تورتة فى المنتصف .

نظرت إلى أمى فهمست فى أذنى :

– الجماعة جابوا معاهم الحاجات دى كلها وجابوا لك

هدايا كتير حطيتها كلها فى أوضة وجدتك وقفلت

الباب بالمفتاح .

ناولتنى خالتى طبق وقالت :

- ليكى أنت والعريس .

أمسكت الطبق بيدى وبدأ عادل يطعمنى ثم بدأت أطعمه تبعاً لإرشادات خالتى .

ثم أخرج من جيبه علبة من القطيفة الحمراء وألبسنى خاتم من السوليتير وعلبه ثانيه بها كوليه وحلق واسورة من البلاتين المطعم بفصوص من الأحجار الكريمة شهقت سنية عندما رأت الشبكة .. كانت عيناها تكادان تخرجان من محجريهما .. ثم رمقتنى بنظرة محملة بالحسد .

بعد أن ألبسنى الشبكة خرجوا من الحجرة وتركونا بمفردنا .

قال عادل :

- هتفضلى مكسوفة .

وقف ليخلع الجاكيت وقام بوضعه على مقعد بجانبنا ثم جلس على مقربة شديدة مني وأمسك خصلة من شعرى خرجت من الحجاب وأعادها إلى داخل الطرحة وهو ينظر فى عينى .. فقفز قلبي من مكانه .. شعر بي فقال :

- اهدى .

قلت :

- أول مره حد يقرب منى كدا .

ابتسم ابتسامته التى أعشقها وقبلنى على خدى ثم أمسك يدى قائلاً :

- هشوفك بكره ولا محتاجة تتفرغى للمذاكرة .

لم استطع إلتقاط أنفاسي بالسرعة الكافية حتى أرد على سؤاله.

دخلت والدته فشعرت بالخجل .. كان وجههى محمراً وكنت مرتبكة .

قالت :

- إحنا هنمشي يا ياسمين .. عادل لو عايز تقعد السواق هيستناك فى العربية برا .

قال عادل :

- لا أنا هاجى معاكم لو فضلت هنا كلهم هيفضلوا قاعدين وياسمين عندها مذاكرة .

إحتضنتنى وقالت :

- هستناك برا .

- أجى لك بكره ؟

هزرت رأسي موافقه ..

- ممكن تفضي لى نفسك كل ليلة ساعة واحدة من سبعة ل ثمانية بالليل ؟

فهزت رأسي موافقة .. فبدأ يبحث فى أركان الحجرة فقلت :

- بتدور على إيه ؟

قال ممازحاً :

- على القطة إللى أكلت لسانك .   أنا فعلاً مش عايز أمشي .. لكن لما بكون معاكى بعانى من مشكلة ضبط أفكارى ، أولا جمالك الرهيب ده كله وصوتك اللى بعشقه وكمان بقيتى زوجتى .. بسأل نفسي دايماً يا ترى إنتِ بتحبيني .

خفضت وجهي وقلت :

- بحبك جداً وأكتر مما بتحبنى .

تنهدت وزاد إحمرارى وإضطرابي فضمنى إلى صدره ..
شعرت بالدوار عندما فتح ذراعيه كدت أسقط أرضاً ..
ضمنى مرة خرى كان خجلى أقوى من سرورى وأنا بين ذراعيه .

همس فى أذنى :

- نامى كويس .. أوعدينى تخللى بالك من نفسك .

قلت :

- أوعدك .

ثم تناول الجاكيت وخرج مسرعاً .

لم أذهب لفيللا عادل مرة أخرى إلا يوم زفافى .. كان هو يزورونى كل ليلة نجلس معاً فى المضيفة القديمة .

كانت حماتى تشرف على إستعدادات الزفاف .. قامت بتجهيز جناح خاص بنا فى الفيلا .. أحضر لى عادل الكتالوجات فقمنا معاً بإختيار جميع المفروشات .

أرسلت لى حماتى سيدة تعمل فى تصميم الملابس ومعها مجموعة من الكاتلوجات .. أصبح لدى الأن ثياباً كثيرة وأحذية وحقائب . فى بيتى الجديد سيكون لى حجرة خاصة بالملابس وحجرة مكتبة وبيانو كبير أبيض اللون اشتراه عادل لى ..

عندما سألنى :

- نفسك مين يحضر فرحنا ؟

قلت بسرعة :

- جدتى وخيلانى وزميلاتى فى مدرسة المعادى وخصوصا إيمان .

- عايزة تورتة كام دور وفستان من تصميم مين ؟

- إيه الكلام ده يا عادل .. إنتَ عارف أنا مبيهمنيش الكلام ده .. لكن إستنى انتم طبعاً هتعملوا أكل كتير ؟

- أكيد طبعاً .

- طيب ممكن أطلب حاجه أهم عندى من أى شيئ تانى ؟

- أنا النهارده جاى أعرف كل طلباتك .

شعرت بفرحة كبيرة حين قال ذلك فقلت بحماس :

- عاوزة سفرة كبيرة تتعمل فى الجنينة ياكل عليها كل الناس الفقرا اللى فى البلد وياكلوا من نفس الأصناف اللى هياكلها باقى المعازيم .

شرد قليلاً ثم قال :

- عرفتى أنا ليه بحبك أوى .. علشان أنسانيتك دى .. طيب قولى نفسك فى إيه كمان ؟

- امممم نفسي تحكى لى كل شيئ عنك .. والدك فين ؟ وليه محضرش الخطوبة ؟ وفين اخوك الكبير ؟

قال بهدوء :

- أنا تقريبا علاقتي بوالدى نفس علاقتك بوالدك قربنا من بعض نادر جداً .. خالى فؤاد كان دايماً أقرب لى منه .. التوتر اللى حصل بينه وبين والدتى أفسد العلاقه بينى وبينه .

- وخالد ؟

- كمان خالد معرفتوش ولا إتربينا مع بعض كإخوات .. هو أكبر منى بسنتين بس كان عايش مع والدته طول عمره فى القاهرة ..

قبل ما يتخرج والدته اتوفت ، خلص سنة الإمتياز وسافر بعثة لندن ومرجعش .. إتجوز هناك من سنة وعاش وقرر ميرجعش هنا ، لكنه رجع لما عملت الحادثة

بتاعتى وجاب لى دكتور من أساتذته فى لندن عمل لى العمليه .. تقريباً انقذ حياتى وإيدى ورجلى من البتر .

كان صوته يحمل مقداراً كبيراً من الإمتنان لــ خالد .

– تعرفى .. أكتر شيئ بيجمعنى بخالد حبنا للشعر .. انا بكتبه وهو بيتذوقه .

ضحكت وقلت :

– وأنا بغنيه .

نظر لى بحب وقال :

– أنا بحب صوتك جداً .

– مع إنك مسمعتوش إلا مرة واحده .

– مين قالك كدا انا بسمعه كل يوم .. بقالى سنتين مبنامش إلا على صوتك .

ضحت وقلت :

- والله .. وبتسمعه فين ؟

قال :

- من شريط الفيديو بتاع فرح مصطفى ودولت ..
عملت منه نسخه وبسمع التلات اغانى اللى غنتيهم .

- آه .. طيب ممكن اشوف الشريط ده .

- هتشوفيه فى بيتنا وهنسجل شرايط كتير تانية ، لكن
لو حبيتى تغنى لى أغنية هتغني إيه ؟

- اغنى اغنية قديمة لسعاد محمد اسمها قاسيت .

- ممكن تسمعيهالى .

بدأت أغنى وإنهمرت دموعى وأنا أقول " قاسيت
ولا حد قاسي قد ما قاسيت لكن نسيت ما جرا لى لما
أنا حبيت "

بعد انتهاء الأغنية مسح عادل دموعى بيده وقال :

– اتمنى مشوفش دموعك تانى ابداً .   تعرفى اجمل شيي فى البيت ده ايه ؟

– إيه ؟

– شجر الياسمين اللى قدام الباب .

ابتسمت وقد عادت بى الذاكرة للماضي وقلت :

– الياسمينات دول زرعهم جدى لما اتولدت .. بعت اشتراهم وزرعهم بايده قدام البيت وعمل حواليهم السور الحديد العالى ده .. كان بيسقيهم ويزودهم لحد ما بقوا تلاتين شجرة .   لما رجعت من القاهرة لقيتهم ماتوا ، حاولت أجددهم وأراعيهم تانى والحمد لله فى تلات شجرات إستجابوا للإهتمام .

– انا هغير من حبك لجدك يا ياسمين .

نزلت دموعى مرة اخرى فضمنى إلى صدره

- إنت عارف أنا كنت بحبه قد إيه .

قال :

- البلد كلها كانت بتحبه وعارف حبك ليه . بس انا هحبك اوى وهاخد بالى منك زى جدك .

ثم ابتسم وقال انتى :

- ممكن تقولى لى ياجدو لو حبيتى .. ها هتعيطى تانى وانا موجود .

- لا ابداً خلاص يا جدو .

إبتسم ودنا منى جداً وقال :

- كلها أسبوعين ونكون مع بعض دايماً وميفرقناش إلا الموت إن شاء الله .

ارتعدت عندما سمعت كلمة الموت خفضت وجهى فرفعه فأمسك ذقنى فى يده ورفع وجهى لأنظر فى عينه .. تلاقت أعينا واصل تحديقه فى عينى فشعرت بسريان شحنات كهربائية فى البيت كله وتخدر خدى تحت لمست يده .

كان يكتفي بقبلة حين يلقانى وقبلة حين يودعنى كل ليلة . فى الصباح يأتى ليصحبنى إلى المدرسة وينتظرنى حتى أخرج من لجنة الإمتحان فيعود بى إلى البيت

علمت انه يتمنى ان يقود السيارة بنفسه حتى لا يلازمنا السائق دوماً .

قلت له :

– أنا بغير .

– من مين ؟

– من البنات اللى بيطلعوا يعكسوك يقولولى خطيبك قمر .

– أنا اللى قمر برضه ولا انت ؟

ابتسم السائق فقال عادل :

– بص قدامك يا عم حسين ☹

النهارده اخر يوم فى الإمتحان والليلة ساعة واحده مش هتكفينا .

إبتسمت وقلت :

– الليلة بالذات مفيش ساعات البيت هيكون مشغول .

– إزاى ؟

– إنتَ ناسي ان الفرح بعد بكرا .. كلهم جايين يجهزوا لى الحاجات بتاعة الفرح .

- طيب ممكن تأجلوها لبكرة وتخلليكى معايا الليلة .

- بلاش دلع يا عادل بكرا هنكون مع بعض دايماً وهتزهق منى .

- إسحبي كلامك من فضلك عمرى ما هزهق منك أبداً .

عندما وصلنا البيت رأيت سيارة خالى شكرى فعلمت انه جاء لحضور الفرح ومعه جدتى وزوجته وأولاده فهللت بفرحة مثل الأطفال ..

نزل عادل من السيارة فدخلنا معاً البيت .. قابلنى خالى بحضن كبير ثم تركته وإرتميت فى أحضان جدتى ..

إكتف هيلين زوجة خالى بالسلام باليد لكننى قمت بتقبيلها وتقبيل أولادها ، كنت سعيدة لأنى رأيت جدتى صحتها جيده ووجهها مشرق وقد أثرت هى فى طباع زوجة خالى فأصبحت تحبها جداً وتناديها mum .

رحب الجميع بعادل عندما خرج سرت معه حتى السيارة قال :

- كدا مش هشوفك إلا فى الفرح . إعملى حسابك تحضرى الشنطة اللى هناخدها معانا وإحنا مسافرين لشهر العسل .

- مصمم برضه إننا نسافر .

- طبعاً .

- طيب والشنطة دى أحط فيها إيه ؟

- طقمين خروج بس والباقى كله لبس للبيت لإننا مش هنخرج ابداً . في شنطة لونها أحمر صغيرة دى لازم تحطيها فى شنطة السفر . أنا مختار كل قطعة فيها على زوقى .

تصاعدت الدماء فى وجنتاى لأنى فتحت هذه الحقيبة وأعلم ما بداخلها لقد خبأتها تحت السرير فالملابس التى بداخلها أقل ما يقال عنها أنها يعاقب عليها القانون .

قلت وقد احمر وجهى :

- طيب طالما مش هنخرج متخلينا هنا إيه لزوم السفر .

قال :

- فى السفر سبع فوايد أهمها قضاء شهر عسل بعيد عن الناس .

أدار السائق السيارة فركبها عادل وإنطلقوا بعيداً وعدت إلى أحضان أهلى .. كان البيت متألقاً مشرقاً سعيداً بوجودهم جميعاً فيه .

مر اليوم التالى بأكمله فى تجهيز ثيابى وملابسى وملأ الحقائب بهم ، لم أتخيل يوماً أننى سأمتلك كل هذه

الملابس ولا أظن أننى سأرتديها .. فقد كانت كلها من ماركات مشهورة كل طقم له حقيبته وحذاءه وحجابه .

تعجبت خالتى سوسن من هيئتى وأنا أقلب الثياب ،
إبتسمت وقلت :

– ليه الهدوم دى كلها .

قالت :

– أيام جدك الله يرحمه محدش كان بيلبس زيك .

– مبحبش البس ملابس ملفته .. بحب البساطة .

– إنتِ داخله مرحلة جديدة فى مجتمع لازم تليقى بيه وتشرفى جوزك وحماتك .

قالت زوجة خالى بلهجتها الغريبة :

– هتهتاجى دريسنج رروم .

قالت أمى :

– يعنى إيه ؟

قلت مبتسمة :

– يعنى حجرة ملابس خاصة ، حماتى عملت حجرة ملابس فى شقتى .

كنت أشتاق للحديث مع جدتى والنوم فى حضنها . عاد البيت كما كان أيام جدى مملوء بالناس وبرائحة الطعام تخرج من المطبخ .. وصخب الأطفال يملأ البيت .

فى صباح يوم الزفاف جاءت سيارة بها أربع سيدات يعملن فى مركز تجميل فى القاهرة قمن بتحويل حجرة كاملة قريبة من الحمام لمركز تجميل .

تحولت إلى ضحيه لا حول ولا قوة لى بين إيديهن الماهرة المدربة من مفرق رأسي حتى إخمص قدمى لم استطع التذمر أو الأعتراض .

ثم ألبسسنى ثوب الزفاف المرصع بالجوهرات ووضعوا تاج مرصع مثله فوق حجابي وألبسنى طرحة قصيرة من التُلْ .. قمن بتركيب بعض فصوص المجوهرات فوق أظافرى أيضاً .. حتى الحذاء ثبتوا فوقه مجوهرات مقلدة لكنها جميلة .

عندما وقفت أمام المرآة لم أتعرف على نفسي لكننى صمت ولم أعترض فلم يعد هناك وقت لتغيير أى شيئ فقد وصل عادل وهو ينتظرنى فى السيارة أمام البيت الآن .. كم كنت أشتاق لرؤيته .

فتح باب الحجرة فخرجت للصالة وجدت جدتى وأمى وخالاتى وصديقاتى قد إصطففن على الجانبين .

رأيت دموع الفرح تترل من عيونهن ، تلك العيون تحبنى وكم تعذبت وبكت من أجلى .. فلماذا يبكين الآن أيضا ؟ تأثرت برؤية الفرحة على وجوههن وإبتسامة أمى المطمئنة السعيدة برغم الدموع .

قالت مس دوللى :

- بلاش دموع المكياج يا ياسمين .

مسحت حافة عينى بسرعة .. نظرت إلى يدى فلم أجد عليها سواد ، إبتسمت خبيرة التجميل قائلة :

- كل العرايس بتبكى يوم فرحها .. فبدأنا نستخدم مكياج مضاد للماء .

- يعنى أعيط براحتى ؟ ☺

فوجئت بإيمان صديقتى تندفع بسرعة لتقبلنى ، كم كانت فرحتى عندما رأيت صفاً من زميلاتى بمدرسة

القاهرة وفى أخر الصف مديرة المدرسة ومس عفاف المشرفة .

قالت المديرة وهى تقبلنى :

– العريس أرسل لنا دعوة لحضور فرحك . وبعدين أرسل لنا أتوبيس يحضرنا به من القاهرة .

كانت مفاجأة جميلة .. لقد حقق لى عادل كل أحلامى .

كانت فرحتى بعادل وإشتياقى له يفوق الوصف . تحرك الجميع حتى أصبحت أمام البيت فرأيت عادل يقف أمامى يحمل باقة من الزهور مرتدياً بدله الزفاف السوداء ، جرجرت قدمى لأصل عنده حتى لا يأتى هو ويضطر لإستخدم العصا فأحببت ألا أعرضه للإحراج .

فعلاً وصلت له بطريقة سريعة جعلتنى أشعر بالخجل .. سمعت الزغاريد .

كانت نظرات عينيه تزيدان خجلى ليته لم ينظر لى بهذه الطريقة أمام الناس .. ساعدنى فى ركوب السيارة وكان قد وضع باقة ورد على ركن السيارة .

كان منتبهاً وهو يركب من الجهه الأخرى لثوبى الذى إحتل ثلاثة أربا ع المقعد .

ظللت صامتة والإبتسامة الخجلة مرسومة على وجهى .. همس فى أذنى :

- أحبك كل شيئ فيكى الليلة جداً .

نظرت له فــقال عابثاً :

- جميلة جداً .. أنيقة جداً .. ساحرة جداً ومكسوفة جداً .

خفضت وجهى وبدأت أعبث بالزهور فإبتسم .. إلتقت نظراتنا لحظة ، كانت نظرات عينيه عميقة فتخيلت أننى أرى روحه فيهما .

كان ينظر إلى وكأننى أجمل جائزة يمكن أن يفوز بها إنسان برغم أننى أنا من فازت بالجائزة .

عندما وصلت السيارة إلى القصر وقف دكتور مصطفى بهدوء فـــ نزل عادل ودار حول السيارة ثم فتح لى الباب .. نزلت محاولة المحافظة على ثوبي .

ساعدتنى صديقتى إيمان وزينب ثم سِرن خلفى .. امسك عادل يدى وقبلها ثم قال :

– مستعدة ؟

قلت :

– نعم .

سرنا مسافة قصيرة حتى وصلنا لصالة البيت . قال عادل :

- بصى هناك ده مكان لأهل البلد كلهم جبت لهم مطرب شعبي ومعمول لهم بوفيه نفس البوفيه اللى هنا زى ما أمرتى يا مولاتى .

إبتسمت وضغطت على يده دون أن أتكلم ، وصلنا للقاعة كان صوت الموسيقى مرتفعاً عندما جلسنا لاحظت العيون التى كانت تحدق بى فشعرت بتوهج وجهى .

قال عادل :

- على فكره انا لقيتها وجبتها معايا .

- هى إيه ؟

- القطة اللى كلت لسانك يا حبيبتى وهدبحها لك الليلة .. مش بيقولوا لكل عريس إنه لازم يدبح لعروسته القطة .

قلت :

- ها ها ها .

- كده ؟ طيب .. هتشوفى .. واضح إنها لسه سايبه حتة صغيرة .

جاء حجازى ليبارك لنا ، كانت أول مرة أراه فيها طويل القامة أصلع الرأس ضيق العينين بشرته بيضاء مشربة بحمره . لم يكن يشبه عادل على الإطلاق .

قال لى :

- أهلا بمرات إبنى .. إنتِ جميلة جداً لكن من الواضح إنك ذكية عرفتِ توصلى لقلب عادل وأم عادل .

كانت كلماته تحمل الكثير من المعانى من الواضح أنه ليس من السهل التعامل مع ثعلب مثله .

إستمر الحفل حتى الصباح ،

تركنا المعازيم وصعدنا إلى حجرتنا لأن عادل شعر بصداع .

سهرت القرية كلها تلك الليلة خارج القصر والشاعر الشعبي يحكى قصة سمير وسميرة بطريقته الجذابة .. تحدثنا قليلاً ونمنا كثيراً من التعب .

سافرنا عصر اليوم التالى لقضاء شهر العسل فى الإسكندرية ، كانت الأسرة تمتلك فيلا فى العجمى تطل مباشرة على البحر .

لكننا قضينا شهر العسل فى أحد الفنادق ..

كانت حماتى قد كتبت لى ورقة كبيرة بها مواعيد أدوية عادل وفى الحقيقة كان عادل ملتزماً جداً بمواعيد دواءه .. مريض مثالى فلم يتعبنى أبداً

فقد كان حريصاً على الشفاء .

لم نغادر الفندق طيلة الشهر إلا لقضاء بعض السهرات فى الخارج .. حضرنا عرض مسرحية روحية إتخطفت لفؤاد المهندس وشويكار ودخلنا السينما لمشاهدة أكثر من فيلم .. لم أكن قد دخلت السينما أو المسرح من قبل .

(١٦)

هل أنت سعيدة ؟

كان الجميع يسألوننى هذا السؤال ولا أعرف حقاً هل أنا سعيدة أم لا ؟

كنت أحاول ان أسعد نفسي .. ولكن هل يسعد قلباً إعتاد الحزن ؟

مر أجمل صيف قضيته فى حياتى لأننى عشت فيه فى قلب عادل وماما يسرية .. كانوا يعيشون حياة بسيطة .. لا يتعاملوا أبداً بمنطق الثراء فـــ المال بالنسبه لهم وسيلة لا غاية .

كان بمقدورهم إستثمار المال أفضل من ذلك . لكن المال آخر شيئ يفكرون فيه .

اسيقظ من النوم كل ليلة وأنا أظن أننى أحلم وأتوقع أننى بمجرد أن أفتح عينى سأجدنى فى الحجرةالصغيرة فى بيت جدى لكننى سرعان ما كنت أنتبه إلى رائحة عادل الجميلة التى تملأ أنفى .

اليوم عيد مولدى .. أكملت السابعة عشرة ،

أعلم أن عادل ووالدته يخططان لعمل مفاجأة .. منذ إتصلت بى أمى لـــ تطلب منى زيارتها وقضاء اليوم عندها علمت أنها مشتركة فى الخطة أيضاً .

فقد رحب عادل بذهابي إليها ثم إعتذر عن مرافقتى ، ركبت السيارة مع عم حسين وتوجهت لبيت أمى لأزورها لكنى لم أجدها فى البيت قال زوجها :

– إيه الحكاية ؟ أمك راحت عندك .

أصبح نعمان يرحب بى ويسمح لأمى بزيارتى . ركبت السيارة وقد إتضحت خيوط اللعبة فى وجهى قرروا

إخراجى من البيت بعض الوقت وعندما أعود أجدهم قد حضروا المفاجأة كما يحدث فى الأفلام . لكنى أردت أن أشاكسهم فلم أعد للبيت مباشرة وطلبت من عم حسين أن يذهب بى لزيارة خالتى سوسن .

وفعلاً ذهبت لها وجلست عندها بعض الوقت ثم ذهبت لأحضر لهم مفاجأتى الخاصة عدت للبيت فوجدت البيت معد لأستقابلى ..

حجرة الإستقبال مملوءة بالورود والأشرطة الملونة واللامعة والكثير من الشموع والطاولة الكبيرة عليها الكثير والكثير من الحلوى وتتوسط المائدة تورتة كبيرة .

لم أحتفل من قبل بعيد مولدى ولم أشعر بالسعادة فيه أبداً لكنى فعلاً الآن سعيدة وفرحه بهم .

فى البيت وقفت وقد ظهرت على وجهى علامات المفاجأة .. دخلت ووقفت معهم لأطفئ الشمع

وأستقبلت هداياهم .. كنت أشعر ببعض الإرهاق

شعرت ببعض الدوار فتركت جسدى ينهار فو ق أحد

المقاعد . إحتضننى عادل قائلاً بلهفة :

– مالك يا حبيبتى ؟

قالت ماما يسرية :

– أكيد إنتِ تعبانة .. إنت مأكلتيش من الصبح

تركت شعورى بالوهن يسيطر على وقلت :

– ممكن أدخل السرير .. أنا تعبانه فعلاً .

ساعدونى حتى وصلت لفراشي .

قالت أمى :"

– مينفعش تنامى من غير ما تاكلى .

قلت :

– أنا تعبانة ورحت للدكتور وهو قالى لازم أرتاح .

قال عادل بلهفة أكبر :

– دكتور إيه ؟ تعبانة ليه ؟ ردى يا ياسمين الدكتور قالك إيه ؟

جلست فى الفراش وقلت :

– عندى حاجه بسيطة إطمنوا .

– إتكلمى يا ياسمين عندك إيه ؟

– عندى مفاجأة ☺

– إيه هى اتكلمى ؟

– أنا حامل فى الشهر التانى .

كانت سعادة عادل لا توصف أما سعادة ماما يسرية فقد كانت كطوفان من الفرحة .

تذكرت مقولة أن السعادة فى العطاء ، فقررت أن أطبق هذه المقولة .. كنت أعيش فى بيت به ثلاثة أشخاص وعدد كبير من الخدم أما الأشخاص فكان منهم زوجى المريض الذى يحتاج للنوم لأوقات طويلة فــ قررت أن أجعله أسعد إنسان فى هذه المدة حتى أننى كنت أصلى الفروض وأقرأ وردى من القرآن وهو نائم حتى أتفرغ له تماماً لأنى أعلم أن هذا يسعده وقد وكان حقاً سعيداً معى .

أما حماتى وشقيقها فكان إثنان من المسنين بدأت أناديهم بأمى وأبي وأعطيهم حباً وحناناً كانا محرومين منه .

هذا الأهتما م جعل حماتى تطمئن على إبنها وبيتها فتركت لى كل شيئ وذهبت هى وشقيقها لأداء فريضة الحج ، وعندما عادا وجد كل شيئ أفضل مما تركاه ،

تذكرت كيف كان جدى يدير أرضه ، وكيف كان يتعامل مع الفلاحين ، وتذكرت أيضاً بعض المعلومات

الزراعية التى كنت أسمعها دوماً وأنا جالسة بجواره حتى أننى كنت أتقمص شخصيته وطريقته فى الحديث مع الفلاحين .

عندما عاد خالى فؤاد كان مريضاً جداً لكنه كان سعيداً لأننى إشتريت بعض المواشي المدرة للألبان وأنشأت معملاً لتصنيع الأجبان ، وبطارية للتفريخ .

حتى لا نضطر لشراء الكتاكيت غير المحصنة بأسعار عالية وكانت المزرعة بها عنبر مهجور قمت بترميمه وتجديده وإفتتحته للعمل .. كل هذا أنجزته فى الشهر ونصف الذى قضياه فى الحج فقد تأخر وصولهم بسبب مرض خالى فؤاد ودخوله للمستشفى .

أما والد عادل فمنذ زفافى لم اره إلا مرات قليلة . كان يأتى ليأخذ مصروفه الشهرى الذى قررته له ماما يسرية لكن بعد سفرهم إستغل وجودى بمفردى فأخذ مصروفه الشهرى ثلاث مرات فى شهر واحد ..

ورضخت لطلبه كما نصحنى عادل لأنه سيسبب لى مشاكل كثيرة .

كنت اقسم وقتى بين العمل والمذاكرة والإعتناء بزوجى .. حتى انى إستبدلت سؤال هل أنا سعيدة بسؤال هل أنا ناجحة .

وهل إستطعت حقا منح السعادة لكل من حولى ..

بعد ظهور نتيجة الثانوية العامة وبعد وفاة خال زوجى بشهرين جاء للحياة إبنى محمد ..

وبعده بعام أضاءت حياتى إبنتى إيمان .. يوم ولادتها أقبلت حماتى تحمل علبة مجوهراتها أو الشكمجية الكبيرة كما كانت تسميها وقالت :

- المجوهرات دى ملك لأسرتنا ودلوقتى بقت ملكك إنتِ وإيمان .

كانت سعيدة .. فقد تمنت ان ترزق بفتاة .

بعد ولادة إيمان فاجأنى عادل برغبته فى عمل جراحة فى المخ حتى يتخلص من عرجه الدائم وصداعه .. لكنى رفضت .. فالعملية غاية فى الخطورة ونسبة نجاحها قليل جداً .

لكنه أصر على إجراءها كان قد قام بترتيب كل شيئ مع الأطباء ووضعنى أمام الأمر الواقع . حمل إيمان وقبلها فإبتسمت له فـــقال :

– نامى يا منمونة ماما زعلانه منى لازم أصالحها .

وضعها فى فراشها وجاء ليتمدد بجانبي .

– ممكن تسمعينى .. نفسي أعيش زى أى إنسان طبيعى .

– وأنا نفسي تعيش .

– الأعمار بيد الله والعمليه إن شاء الله هتنجح أو حتى لو فشلت فهفضل زى ما أنا أو لو عمرى أنتهى هموت

وأنا نايم جنبك .. فرصة الدكتور النمساوى ده مش هتتكررهو الوحيد اللى بيعمل العملية دى .

وضعت يدى على فمه وقلت بغضب :

- بعد الشر عنك .

أمسك يدى وقبلها ثم بدأ يتجول بفمه على وجهى كانت قبلاته تدغدغ حواسي وتسكرنى قال عادل :

- حاولى تنامى هسافر بدرى .

- هاجى معاك .

- لا هروح لوحدى الأولاد وأمى وكل شيئ هنا محتاج لك والدى هيكون معايا .

- عادل أنا وولادك مالناش غيرك ، إوعدنى ترجع لى .

- أوعدك عمرى كله ملكك .. قولى ورايا لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا .

فكررت خلفه .. ضمنى لصدره وغرقنا معاً فى النوم .. شعرت أن عادل يودعنى فإرتعدت خوفاً .

فى الصباح إستيقظ وتناول إفطاره وحمل محمد وبدأ يلاعبه متنجباً النظر لى أو لأمه حتى لا توهن دموعنا فى عزيمته .

لم يكن يشجعه إلا والده .. سرنا معاً إلى السيارة .

كانت ماما يسرية تحمل إيمان وكنت أنا أحمل محمد وعادل يستند على كتف والده قلت لماما :

– عادل هيرجع لنا بالسلامة .. إن شاء الله .

لكن قلبي كان يحدثنى بعكس ذلك ، شعرت بشيئ ما يتحرك فى صدرى ربما كان هلعاً . حملت فاطمة إيمان وأنزلت محمد أرضاً وإحتضنت عادل .

أغرقت دموعى وجهه حاولت أن أحكم عقلى أو أتمالك نفسي لكنى بدأت أعانى صعوبة فى التنفس .

إنطلقت السيارة بعادل فجلست أرضا مسندة خدى
على ركبتى وبدأت فى إستعراض ذكرياتى مع عادل
لابد أن أكون أقوى من ذلك أولادى يحتاجوننى .

مدت ماما دولت يدها لى فوقفت .. شعرت بالدوار
وكأننى أقف على قمة جبل ضمتنى لصدرها وعدنا
للبيت.

وجدت محمد قد نام على كتف عم منصور . وإيمان
تبكى .

حملتها ودخلت الحجرة لإرضعها وجلست على الكرسي
الهزاز وبدأت أهدهدها حتى تنام . وضعت فاطمة محمد
فى فراشه .. كنت فى غاية الخوف يداى ترتجفان .

ضممت إبنتى إلى صدرى لأخفى إرتعاشتى .. مر يومين
وأنا أعيش كالأموات .

كان عادل يتصل بى كلما تمكن من ذلك فى أخر مكالمة قال :

- مفتاح درج المكتب العلوى فى اخر درج على اليمين
.

- فيه إيه الدرج ده يا عادل ؟

قال :

- شوية أوراق مهمة .. خللى بالك من أمى ومن الأولاد .

وأغلق الهاتف .

لم أسمع صوته بعدها فقد دخل حجرة العمليات . لم أكن قد أغمضت عينى منذ ثمانية وأربعون ساعة فنمت بجانب إبنى وبدأت أغنى له حتى ينام فسقطت فى هوة عميقة ، نمت ولم أدرى بنفسي إلا وفاطمة توقظنلى لأن إيمان تبكى .

حاولت الجلوس فلم أقدر فناولتنى إيمان ووضعت بعض الوسائد خلفى سألتها :

- أنا نمت كام ساعة ؟

- ثلاث ساعات .

- مفيش أخبار عن عادل ؟

- والده اتصل وقال إنه لسه فى العمليات .

- بقاله ست ساعات !

- يارب يا ست ياسمين يكون الدكتور النمساوى ده كويس .

- يارب يارب .

سقطت فى النوم مرة أخرى بنتى لا تزال ترضع

ايقظتنى فاطمة مرتين لأرضعها ..

جاءنى عادل كان يرتدى قميصاً ابيض وبنطلون أبيض وقف أمامى بعين باكيه وأجفان مقرحة وقال بهدوء وبنبرة مستسلمة "الوداع يا ياسمين" ناديته .. صرخت طويلاً ظللت أصرخ وأولادى يصرخون ثم استيقظت .

حاولت التنفس بشكل طبيعى حاولت التركيز لأخرج من الكابوس .

سمعت صوت حماتى تصرخ وتقول :

– إبنى عادل ابنى مات .

دخلت فاطمة الحجرة كانت تنظر لى تركت إيمان على الفراش وخرجت من الحجرة هل لازلت أحلم ؟ لا أنا مستيقظة الأن .

ماما يسرية لا تزال تمسك سماعة الهاتف بيدها .

خرجت من القصر مشيت طويلاً حتى خرجت من الحديقة لاحظت أن بعض الرجال يجرون خلفى أصابنى الدوار فسقطت أرضا .

رأيت الكثير من الوجوه تحدق فى وجهى يحدثوننى فلا أجد لسانى لأرد عليهم أنام قليلاً ثم أستيقظ لأنادى على عادل وأولادى .

كان عذابي أليم حين أفكر أننى لن أراه مرة أخرى .. لم تتركنى أمى ولا خالاتى . ماما يسرية أظهرت قوة وصلابة تفوق التصور ، كانت تطالبنى بالصبر حتى لا نحرم من الأجر .

مر عام كامل على وفاة عادل .. مر كقطار بطئ غاضب سحق عظامى .. مر بهدوء قاتل جاءتنى صدمة أخرى عندما ذهبت فاطمة لتوقظ ماما يسرية فلم تستيقظ .

كانت صدمة موهتا هى التى أعادتنى للحياة .. لا يجوز أن يموت الجميع ويبقي أولادى بمفردهم

كانت قبل وفاهتا قد سجلت كل ماهلا وأملاكها باسمى واسم أولادى ولم تترك لزوجها سوى وديعة فى البنك بإسمه ليحصل على عائدها الشهرى .

أما الوديعة نفسها فلا يستطيع سحبها إلا أولادى

ولكن والد عادل كان قد رتب لى ترتيباً آخر ، أخرجنى من دائة الحزن المستقر إلى دائرة القلق والعودة مرة أخرى للشعور بعدم الأمان .

(١٧)

لم أكن أدرى كيف أتصرف مع والد عادل فقد كان مقامراً وفى إمكانه إضاعة الثروة كلها فى أقل من عام .

لذلك تحيرت كيف اتصرف مع عجوز مأفون مثله .

كانت حماتى قد سجلت جميع أملاكها باسمى أنا وأولادى وتركت له وديعة لا يستطيع التصرف فيها إلا ورثته .

عندما علم بما فعلته قال :

– هـــ أكون الوصي على أحفادى .. أنتِ وهم قُصر ومن حقى أتصرف فى جميع أموالهم .

كان قد تبقي لى ستة أشهر حتى أكمل واحد وعشرين عاماً .

سهرت ليلى أفكر بالأمر حتى هدانى التفكير لحيلة ..
قمت بالإتصال بمجموعة من الأعيان والأقارب وإتفقت معهم أن يقوموا بإستئجار الأرض والمزرعة والفيلا وبعقود محررة من حماتى فقد كانت قبل وفاتها قد وقعت لى مجموعة كبيرة من الأوراق على بياض حتى أصرف الأعمال وهى مريضة .

وفعلاُ تم لى ما أردت فهكذا سيقوم كل مستأجر بحماية ما إستأجره ولن يستطيع حجازى أن يتصرف بالبيع فى أى شيئ وليس معه أى أموال للتفاوض مع المستأجرين .

أخذت الأموال السائلة والمجوهرات والذهب ووضعتها فى البنك واشتريت شقة فى المنصورة فى أحد الأحياء الهادئة .

كانت جامعة المنصورة أقرب جامعة . قررت أن أعود للدراسة وأنتسبت لكلية الآداب جامعة المنصورة قسم علم النفس .

ذهبت مع حمايا للمجلس الحسبي .. لم يجد ما يمكنه الإستيلاء عليه فـــ ثار وهاج وهددنى بالقتل . بعد ساعة عاد هادئاً وابتسامة خبيثة ترتسم على محياه .

قلت :

– هديت ؟!

– هديت جداً .. بس متطمنيش أوى كدا إنتِ لسه رقبتك تحت إيدى .

– وأولادى الأيتام دول مين يربيهم ؟

ضرب على صدره قائلاً :

– أنا .

- إنتَ هددتنى قدام الناس كلها يعنى لو جرالى حاجه إنتَ اول واحد هتتسجن والولاد هيضيعوا مالهمش غيرى وغيرك .. ياعمى إرحمنى دول أيتام .. هما أولى بفلوسهم ، ماما يسرية رفضت تورثك . محدش بيورث حد بالعافية .

- خالد ابنى هيربيهم . أيوه خالد إزاى كنت ناسي ؟

- خالد .. وهو فين خالد ؟

- هيرجع كل المال ده هيكون بتاعه ، هو مخلفش وولاد عادل هيكونوا ولاده . إنتى العقبة الوحيدة .. فـــ تخليكى عاقلة وتسمعى الكلام وتعيشي تربي ولادك ولا تروحى فى شربة ميا .

أنا انتظرت سته وعشرين سنة لحد يسرية ما تموت علشان أورثها. وفى الآخر أطلع بإيه؟

وجدت أنه لا فائد من مجادلته فحاولت كسب مزيد من الوقت حتى أأمن على نفسي وأولادى فقلت بصوت منكسر :

- حاضر .. هسمع الكلام وهعيش اربي ولادى .

- شاطرة .

يبقي تنفذى كل اللى اطلبه منك .

- إنتَ عاوزنى أعمل إيه ؟

- بعدين هتعرفى فى الوقت المناسب .

تأكد أن تهديده قد روعنى فقام بإحضار والدى وبعض أقاربي وجلس مزهواً فى صدر المجلس ونظر لى مبتسماً وقال :

- إبنى الدكتور خالد جراح المخ والأعصاب بعت لى أخطب له أرملة أخوه عادل .

صرخت قائلة :

– مستحيل .. هي دى خطتك .. أنا مش هتجوز بعد عادل .

قال أبي :

– إبنك خالد متجوز .

– متجوز ومخلفش .. كل أملى أجمع شمل ولادى ، خالد يربي ولاد أخوه ويمكن ربنا يرزقه هو وياسمين بذرية .

تذكرت ما قالته لى ماما يسرية من قبل .. حجازى بياخد كل المال اللى يكفيه لكن هو عايز خالد يورث محبش حد قد خالد .

– الله يرحمك يا ماما يسرية .

– ايه يا ست الحسن رأيك أيه ؟

- محتاجه مهلة أفكر .

- قدامك اسبوع .. الجمعة الجاية هنجتمع هنا بعد الصلاة هنتغدى معاكى كلنا .

إتصلت بخالى شكرى أطلب مشورته ، حاولت أن أحكي له كل ما حدث لى لكنى لم استطع التفاهم معه فى التليفون فإنتهزت فرصة أسبوع المهلة وقررت السفر له حتى أطمئن على جدتى .

كان رأى خالى أن أوافق على الزواج .

قال إن خالد يحب زوجته جداً خالد هو اللى هيرفض يتجوزجك .

عدت للبلدة فى الموعد المحدد جاء حجازى ومعه جمع كبير من الناس أمام الناس اخبرته بموافقتى ..

تعجب ابي من تبدل موقفى لكنه فهم عندما أكملت :

- هننتظر موافقة الدكتور خالد وحتى لما يوافق هننتظر لحد ما ييجى من لندن .

قال حجازى بفخر :

- الدكتور خالد موافق . هو معقول يرفض وبعت لى توكيل علشان أكتب الكتاب بالنيابة عنه لحد ما يرجع بالسلامة بعد اقل من ست شهور .

هنا اسقط فى يدى .. قلت بتلعثم :

- إزاى يوافق أستاذ جامعي وطبيب لامع مثله ان يتزوج إنسانه لم يرها من قبل ؟

- هو واثق فى زوق ابوه وأنا شكرت له فيكِ وفى جمالك وأدبك .

- طيب أحنا نستعجل ليه لما يرجع نكتب الكتاب .

قال بتهديد :

- إفتكرى الكلام اللى قلناه من كام يوم .

فخفضت رأسي ..

خرج لدقائق معدوده ثم عاد ومعه المأذون . تذكرت لقائى بالشيخ محمد رحمه الله يوم

أرادوا إرغامى على الزواج من خليل .. كان المأذون هذه الأيام هو ابنه الشاب أحمد .. ثلاث حفلات زفاف تقام لى ولا تزال زميلتى زينب شقيقته فى الجامعة .

شعرت أننى قد صرت عجوزة قليلة الحيلة ، كان حجازى كل همه المال .. هل اتركه له وأعود للحرمان والفقر .. هل أتخلى عن الأمانة التى تركتها لى ماما يسرية واضيع مستقبل أولادى ؟

والدى يكلمنى والمأذون يسألنى وأنا صامتة حائرة ماذا افعل .

يارب الهمنى الصواب .. سمعنا آذان العصر فإبتسم الشيخ أحمد قائلاً :

- هنروح نصلى يا ياسمين ولما نرجع تكون قررتى هتعملى ايه .

خرجوا للصلاة فكرت كثيراً ثم صليت العصر ودعوت الله فى سجودى حتى يلهمنى الصواب .. تذكرت كل ما سمعته عن خالد من خالى شكرى هو طبيب ناجح متزوج من طبيبة يحبها وسعيد معها .

عادل حدثنى عن خالد من قبل وأخبرنى أن خالد جاء من الخارج ووقف بجانبه بعد الحادث وإن لخالد فضل كبير فى علاجه .

وقال ان خالد محب للشعر والأدب والموسيقى وآخر همه المال .

كنت أثق فى قدرة عادل فى الحكم على الناس ومن يدرى ربما أسعد بالقرب من خالد ولا أكون وحيدة .. ربما يحسن لأولادى ويعوضهم حنان الأب .

وإذا لم يحدث ذلك سأطلب الطلاق منه .

كنت أُحدث نفسي عندما أخبرتنى فاطمة بعودة الرجال .. ذهبت لأتمم عقد القرآن .

تزوجت بعد عام من وفاة عادل بشقيقة الذى لا يعرفنى ولا أعرفه .

(١٨)

بعد أن هدأت نفس حجازى وإطمأن قلبه .. ترك البلده وذهب للإقامة الدائمة فى القاهرة .

كنت أتتبع أخباره من بعيد حتى لا يفاجأنى بأمر لا أستطيع مواجهته .

كان حجازى قد احتال على ماما يسرية قبل وفاهٔا وأخذ مبلغاً كبيراً ليشترى شقة بإسم عادل على النيل .. ولكنه إشترى بالمبلغ شقتين إحداهما بإسم خالد والأخرى بإسم عادل وكان يؤجرهم مفروشتين .

كان الإيجار بالإضافة لعائد الوديعة يكفيه ليعيش عيشة كريمة .. إلا أنه عمل بأحد نوادى القمارالتابع لأحد الفنادق الكبرى ثم إنقطعت عنى أخباره .

إنتقلت إلى شقة المنصورة مع أولادى .. أصطحبت فاطمة ووالدها عم منصور ليبقوا معى فقد أوصتنى ماما يسرية بهم خيراً .

كنت أذهب للجامعة بسيارة خالى فؤاد القديمة وأحيا حياة بسيطة .. فبرغم إمتلاكى للملايين إلا أننى لم أكن أحب المبالغة فى ملابسي ولا طعامى .

كل وقتى اقضيه مع أولادى وكتبي ولا شيئ غير ذلك .. كنت أتحدث مع أولادى كأنهم كبار ، وأحكى لهم كل شيئ .. أربعة أعوام قضيتها فى المنصورة لا أحاول لفت الأنظار .. إبتعدت عن كل الجيران ولم أتعرف على زملاء ولم أكتسب أصدقاء .

أخذت معى من القصر بعض الملابس البسيطة لكنها جميلة .. حملت معى مجموعة كبيرة من الكتب فلا حياة لى بعيداً عن الكتب .

كان عم منصور يشترى لوازم المنزل ويساعد فى فاطمة فى شغل البيت ويساعداننى على تربية أولادى بطريقة صحيحة .

مرت السنوات حتى أصبحت فى السنة النهائية ولم يأت خالد ولم يتصل ولم أعرف شيئاً عن حجازى والده .

إلا عندما وصلتنى رسالة تبلغنى بمرضه وأنه نزيل أحد المستشفيات بالقاهرة ..

ذهبت لزياته .. رأيت فى حجرته سيدة فى حوالى الأربعين من عمرها ترتدى تايير كحلى ضيق جداً وتضع على وجهها الكثير من المساحيق سألتها :

– إنتِ مين ؟

قالت :

– أنا نرجس يا عينيه .

- نرجس مين ؟

- أنا مرات حجازى بيه .

- آه مراته .. إتجوزتوا امتى ؟

- من تلات سنين .

إنتِ بقي الست ياسمين مرات ولاده .

ثم ضحكت ضحة عالية .. إستيقظ حجازى ونظر إلى أراد أن يتكلم لكنه لم يستطع بسبب الشلل فأصدرة همهمة حزينة .

أشفقت عليه برغم كل ما فعله بى .

سألت الطبيب عن حالته قال لا أمل فى شفائه مسألة وقت وفى النهاية الأعمار بيد الله .

حكت لى نرجس كيف تعرفت عليه فى أحد الملاهى الليلية ، وكيف خيرها بين ترك العمل وبين أن تحيا معه حياة شريفة فإختارت أن تتزوجه .

دفعت حساب المستشفى وتركت لها مبلغاً كبيراً من المال وأعطيتها رقم تليفونى لتتصل بي إذا أرادت شيئا .

بعد أيام قليلة إتصلت لتخبرنى بوفاة حجازى فعدت إلى البلدة لتحضير المدفن والجنازة وأقامت سرادق عزاء يليق بوالد عادل . لم أكن أعلم عنوان خالد حتى أرسل له لأخبره بوفاة والده .

طلبت نرجس أن تتحدث معى قبل أن تسافر .

قالت نرجس :

- خالد ميعرفش إنه متجوزك ، أبوه طلب منه التوكيل علشان يشترى حتة أرض بإسمه وهو لحد دلوقتى ميعرفش عنك أى حاجة .

- وانتى ليه بتقوليلى الكلام ده دلوقتى ؟

- لإن حجازى لما كان بيتكلم عليكى كنت فاكراكى شرانية خدتى الثروة كلها لوحدك ، لكن لقيتك طيبة وبنت حلال ، علشان كده ربنا كرمك .

ماذا أفعل الآن .. هل أنا متزوجة من خالد الذى لا يعلم عنى أى شئ ؟ أم أرملة عادل ؟

إتصلت بالمحامى لأستشيرة ، فقال أنه سيذهب إلى السفارة ليطلب عنوان خالد ، ثم تراسلينه وتطلبى الطلاق ، أو نطلقك عن طريق المحكمة بكل سهولة ، الأمر بسيط جداً .

كانت إمتحانات الليسانس قد إقتربت فأجلت التفكير فى الأمر حتى أنتهى منها .

بعد ظهور النتيجة وجدت أننى حصلت على تقدير جيد جداً فقررت أن أستكمل دراستى العليا فى جامعة القاهرة .

تسلمت شقة عادل وقمت بفرشها وإنطلقت بأسرتى المكونة من محمد وإيمان وفاطمة ووالدها عم منصور ، فقد كانوا هم كل أهلى .

(١٩)

كانت البناية التى نسكن بها مكونة من عشرة طوابق تطل على النيل مباشرةً ، كل طابق مكون من ثلاث شقق . لم يكن بها مصريين إلا فى الطابق الثالث الذى نقطنه .

كانت شقتى وشقة خالد المغلقة وشقة الدكتورة أمل وشقيقتها هناء .

كانت أمل وهناء تعيشان بمفردهما ، تزوجت أمل منذ فترة طويلة وطُلقت فقررت ألا تتزوج مرةَ أخرى ، كانت تعمل أستاذة فى كلية الآداب.

أما هناء الشقيقة الكبرى فبرغم جمالها لم تتزوج ، كانت مدير عام فى أحد البنوك وظلت ترفض الخطاب حتى

فاهما قطار الزواج ، وبدأ يتقدم لخطبتها أشخاص دون المستوى ففضلت أن تبقى هكذا بلا زواج .

باقى سكان العمارة من الأجانب وبها بعض المكاتب والشركات .

تعرفت بأمل وهناء وتوطدت علاقتى بهما ، فقد كانتا مثلى ليس لهما أقارب ولا معارف يزوروهما .

إتصل بى أبى وأخبرنى أن خالد جاء الى البلدة لزيارة قبر والده ثم سافر من حيث أتى ولم يسأل علىّ ولا على أولادى .

بعد أيام قليلة رأيت خالد فى شقته بصحبة زوجته ومهندس الديكور .

جاء إذاً ليسكنا الشقة المجاورة لى .

بعدها صار دائم التردد على الشقة لمتابعة العمال ..

التقيته أمام باب شقتى قال بصوت جميل

- اهلاً .

فاجأنى حديثه معى .. كنت دوماً احاول أن أختفى من أمامه حتى لا يرانى ، فرحت أن البواب القديم قد عاد إلى بلدته بعد وفاة حجازى والجديد لا يعرف قصتنا . كان الإرتباك يعصف برأسي كان على أن أنطق .. يجب أن أرد عليه بكلمة مما يقولها الناس عادة فى مثل هذه المواقف .

كان ينتظر ماداً يداً لمصافحتى ..

- إهلاً بيكِ .. إسمى خالد حجازى .

واشار إلى باب شقته كانت اللوحة مكتوب عليها اسمه وتخصصه معلقة على الباب . جراح المخ والأعصاب وتحته إسم زوجته باكينام حجازى طبيبة تجميل يلتزمون بالنظام الإنجليزى الذى يجعل الزوجة تحمل إسم زوجها

.

تخيلت اسمى انا أيضاً موضوعاً بجانب إسمهم شعر بخجلى
.

قلت متلعثمة :

– أهلاً بحضرتك .

كان موقفى غبياً جداً .. لابد أن إنطباعه عنى الآن غريباً .. فتح باب شقته فوقفت انظر له ببلاهة . إبتسم إبتسامة جميلة جعلتنى أحمر خجلاً .

بعد يومين إلتقينا مرة أخرى فى الأسانسير حيانى بإبتسامة .. لم أفلح فى محاولة منع عينى من النظر إليه .. كان وسيماً جداً يشع جمالاً وجاذبية .. لم يكن من اللائق أبداً أن أنظر إليه هكذا .

تكررت لقاءتنا أقابله فى الأسانسير كثيراً أثناء الصعود أو الهبوط ومعى أولادى .

كان يحمل إيمان ويقبلها ويتحدث مع محمد فى السياسة والكرة وكل شئ ، كان مبهوراً بهما بدرجة لا تُصدق ، كيف لأطفال فى هذا العمر أن يكونوا بهذه العقلية .

قابلته وزوجته ذات مرة فى مدخل العمارة

كانت باكينام طويلة أشبه بتمثال .. قوامها جميل من ذلك النوع الذى تراه على أغلفة مجلات الموضة ، كان شعرها مصبوغ باللون الذهبي فقد بد اللون الأسود واضحاً تحت منابت شعرها الذى تمتد تموجاته حتى أسفل ظهرها .

كان جمالها يجعل كثيراً من النساء يفقدن الثقه فى أنفسهن .

قال لها :

– اقدم لكِ الأستاذ محمد والأنسة إيمان السيدة والدهما ، دول جيرانا .

وآشار عليها :

– دكتورة باكينام .

قال محمد :

– أهلاً بكِ يا دكتورة .

قلت :

– تشرفنا يافندم ، حضرتك تخصصك مخ وأعصاب زى الدكتور خالد ؟

نظرت بتأفف ولم ترد .

قال خالد وهو ينظر لها بضيق :

– لأ دكتورة تجميل ، محمد وإيمان يا باكينام عقليتان نادرتان ، ثقافة وأدب وذكاء ، أنا أحييكى يامدام على التربية العالية دى .

ردت :

- هو إيه الأسانسير مش هيوصل فى نهاره ده ولا ايه ؟
إزاى عمارة كبيرة زى دى شغالة بأسانسير واحد ؟

كانت تتحدث بعصبية وبصوت مرتفع ، أخذت أولادى وإنتحيت جانباً . شعر خالد بالخجل وقال لها :

- ميصحش كده .

رفعت صوتها مستنكرة :

- هو إيه يادكتور ، إحنا قولنا بلاش حكاية الجيران دى .

- بس دول أطفال ، وعرفت من البواب إنهم أيتام ، وما شاء الله ذكائهم خارق .

- لا وإنت الصادق شكلهم أقذام .

غمرتنى موجه من الإشفاق ومن الراحة ، الإشفاق لأنى شعرت بخجله من عصبيتها الزائدة برغم حبه لها ، والراحة لأنها لم تكن المرأة الكاملة التى ظننتها ، المرأة التى تستحق رجلاً مثل دكتور خالد .

أخذت أولادى وصعدنا السلم حتى لا أستمع إلى حديثهم أكثر من ذلك ، وأراه يتصبب عرقاً وهو ينظر نحونا .

كانت إحدى الشركات قد قامت بتحويل سطح العمارة إلى نادى إجتماعى .

صعدت بأولادى للسطح بعد أن تناولنا الغداء حتى يجروا ويلعبوا قليلاً ، فوجئت به هو وزوجته على السطح ، عندما رءآنا جاء معتذراً نظرت لنا باكينام بمزيج من الإحباط والقلق

– انا أسف جداً ، معلش أصلها عصبية شوية .

- لا أبداً ولا يهمك، عموماً إحنا مش هنضايقها أبداً.

رفعت صوتها الحاد تناديه .

إنضمت إلينا أمل وهناء ، قمت بتعريفهم بالدكتور فجلس معنا وتركها .. بعد قليل إستئذن وذهب إليها .

لم أحكى لهما شئ عن خالد ولا عن حكايتى معه ، لكن هناء كانت تنظر لى وتقول :

- مالك بتحمرى أوى وبتعرقى لما بيظهر ، هو فى ايه ؟ ردى يابنتى أنا حبيبة قديمة قوليلى بس.

إبتسمت ولم أرد . فأكملت :

- طب وانبى تحكيلى .

ردت أمل :

- سيبك منها يا ياسمين أصلها بقت مراهقة على كبر .

جلسنا نتحدث ونبتسم وعينا خالد لا تفارقنى عضضت شفتى حتى أخفى ابتسامتى ونظرت له ثانية فرأيت زوجته تنظر نحونا .. ثم قررت أن تترك المكان وتنزل فنزل خلفها .

وهنا فقط قررت أن استعيد خالد ، شجعتنى نظراته لى وأن زوجته لا تستحقه .

إتصل المحامى ليخبرنى أنه قد قام برفع الدعوى ، صرخت قائلة :

– ليه كده ؟

– ليه إيه يامدام !

– طب إنت جبت عنوانه منين ؟

– من الجامعة .

من أكبر المفاجئات التى حدثت أن خالد سيدرس لى إحدى المواد فى تخصصى (علم النفس) وهى مادة مشتركة مع تخصص المخ والأعصاب.

أثناء المحاضرة حاولت الظهور بمظهر من ينتبه جيداً لما يشرحه الدكتور لكننى لم افهم شيئ .. لم أكن قادرة على التحكم فى أفكارى .

بعد المحاضرة جاء ليسلم علىّ سرنا معاً خارجين من الكلية .. كان المطر يتساقط كرذاذ خفيف .. إبتسم وهو يقول :

– دى فرصة سعيدة جداً .

– انا أسعد يادكتور .

– تلميذتى وجارتى فى نفس الوقت .

– بس كويس إنك قررتى إستغلال وقتك فى الحصول على الماجيستير والدكتوراه .. أولادك فى منتهى الروعة .

– هما كل دنيتى .. أنا يتيمة وهما أيتام .

– عرفت إنك أرملة .

قلت بانكسار :

– مظبوط .

– طيب مش ناويه تتجوزى تانى ؟ إنتِ لسه صغيرة وجميلة .

لم أستطع الرد عليه وأغرورقت عيونى بالدموع .. ماذا أقول ؟ هل أقول له أنت زوجى ؟

إعتذر لى وقال :

– أنا أسف جداً .

- أبداً يادكتور ، بس مش ملاحظ إننا كل مابنتكلم حضرتك بتعتذرلى .

- كنت بتأسف عن زوجتى لكنى الأن بتأسف عن نفسى .

- ولا يهمك

إنتم معندكوش أولاد ؟

لا للأسف الدكتورة عندها ظروف صحية تمنعها من الإنجاب وأنا مكتفى بها عن كل الدنيا ..

فتحت فمى مندهشة مكتفى بهذه المراة .. على رأى هناء مراية الحب عميا .

كنا قد وصلنا إلى موقف السيارات .

قال :

- إسمحى لى أوصلك .

– أشكرك يا دكتور معايا عربيتى ، كمان هروح أخد ولادى من مدرستهم .

مد يده يصافحنى .. ترددت قليلاً ثم صافحته لم أكن اصافح الرجال لكنه زوجى برغم كل شيئ.

عندما لمست يده يدى شعرت بأننى لامست الكهرباء كان ينظر لى نظرة غريبة وكأنه متحير فى أمرى .

عدت إلى البيت بصحبة أولادى لأجد المحضر يطرق الباب ليسأل عن شقة خالد أرشدته لها بإشارة من يدى .. فتح الخادم وقفت خلف الباب لأعرف ما الأمر .

جاء خالد وخلفه باكينام قال المخبر :

– الست زوجتك يا دكتور خالد رافعه قضية طلاق .

– زوجتى مين ؟

ثم نظر لباكينام وقال بذهول :

– انتى ؟

قالت :

- أنا إيه ؟ إيه الجنان ده ؟

نظرالمحضر فى الورقة وقال :

- السيدة ياسمين على الوردانى .

قال خالد بتعجب وإستنكار ..

- مين ياسمين دى ؟

صرخت باكينام فى وجهه قائلة :

- ياسمين مين كلمنى ؟

عندما سمعت باب شقة هناء يفتح فتحت بابى وخرجت أيضاً .. وقع خالد بالاستلام وإنصرف المحضر .

قالت هناء :

- خير يا دكتور ؟

قالت باكينام :

- وانت مالك دى أمور عائلية .

قالت هناء :

- أمور عائلية يا هانم تبقي فى شقتك لكن على السلم يبقى حقنا نسأل .

دخلت باكينام ودخل خالد خلفها .. أغلقت باكينام الباب فى وجهنا بعنف .

خبطت هناء كفا بكف .

- إزاى راجل أمور زى ده يتجوز الحيذابون دى؟ قولى لى يا حبيبتى هى مراية الحب عميا زى ما بيقولوا ؟

- بس هى ست جميلة فعلاً .

- جميلة .. فين الجمال ده ؟ دى مرسومة زى عروسة المولد ما فيهاش حاجه طبيعية .. ولا عصبيتها .

دخلت معها شقتها وحكيت لها ما سمعته من المحضر بكل براءة .

همست كأن باكينام ستسمعنى .

- فيه محضر قالهم أن مرات دكتور خالد التانية رافعة قضية طلاق .

هللت هناء وقالت :

- أيوه كدا كده الكلام يبقي مظبوط مهو دى متنفعش مش شايفه بتعامله إزاى ؟

ثم أكملت وهى تغمز بعينها ..

- وإحنا قمرات وقاعدين من غير راجل والقردة أم سديرى دى بتبيع وتشترى فيه .

ضحكت دكتورة أمل وقالت :

- إحنا فاتنا القطر لكن ياسمين لسه صغيرة . الحقى روحك خالد معجب بيكى .

- معجب بيه أنا !

- لا معجب بيا أنا .

- وليه لأ ؟ إنتِ زى القمر .

- بقولك أنا فاتنى القطر .

قالت أمل :

- يعنى اللى لحقوا القطر عملوا إيه تعالى شوفى المتزوجات بيقولوا اللى لحقها القطر اهرست واتفرست وجالها كساح .

ضحكت كثيراً على كلامهم ومرحهم عرفتا الدنيا جيداً فلم تعودا تهتمان لشيئ .

أما أنا فقد بدأت أخاف .. أخاف أن يعرف خالد من تكون ياسمين الوردانى .. هل سيعتبرنى محتالة .. وكيف سيعاملنى .

نادتنى فاطمة قائلة :

- دكتور خالد خرج هو ومراته .

أعدت فاطمة طعام الغداء ونادتني لكني اخبرتها انني لا اشعر بالجوع .. كانت كلمات خالد ولمسة يده والخوف .

نمت مبكراً .. كانت هذه أول ليلة أرى فيها خالد حجازى فى نومى .. رأيتني أسير معه على حلبة الرقص ونرقص معاً حملنى كراقص بالية بيد واحده وضمنى إلى صدره .. إستيقظت سعيدة .

فى الصباح إنتظرت حتى خرج من شقته كنت أشتاق لرؤيته وأردت أن أطمن هل علم من هى ياسمين .

فخرجت خلفه ركبت معه الأسانسير ، لا يزال لسانى ينعقد كلما رأيت وجهه الجميل .

كنت محتاجه للتركيز حتى أتحدث معه وأفهم منه كل شيئ .. كنت غارقة فى أفكارى لدرجة أنستنى وجوده بجانبي محملقاً فى وجهى .

قال :

– أنا أسف يا ياسمين .. يظهر إنى دايماَ هفضل اعتذر لك كدا.

لاحظت أنه نطق إسمى بدون القاب فتشجعت وسألته :

– هو حضرتك فعلاً متزوج من زوجه تانية ؟

– أبداً والله لكن تعرفى إن المحامى قالى حاجه غريبة .

– إيه هى ؟

– الست اللى رافعة القضية دى تبقي أرملة أخويا عادل ، والأغرب إن والدى عقد قرآنى عليها من خمس سنين بتوكيل ومقاليش .

إدعيت البراءة وقلت :

– بسيطة إسأل والدك .

– للأسف والدى اتوفى قبل رجوعى من لندن .

خرجنا من العمارة .. طلبت من البواب إحضار سيارة أجرة فسيارتى تحتاج للميكانيكى .

- ممكن أوصلك ؟

وافقت بإبتسامة وركبت معه .

- ولادك فين اومال ؟

- محمد عنده برد خفيف محبيتش يخرجوا .

- تفتكر يا دكتور ان الست دى زورت عقد الزواج ؟

- لا معتقدش دى ست فلاحة بسيطة تقريباً معاها الإعدادية وفاكر إن والدى قالى إنها يتيمة متربية فى ملجأ .

- ملجأ .. والدك قالك كدا ؟

- آه مره زمان حكالى فى جواب من جواباته .. كان نفسه إن عادل أخويا يتجوز واحده تليق بيه .. لكن عادل وقت ما إتجوزها كان مريض جداً وممكن يكون إتجوزها علشان تخدمه هو وأمه . يعنى فى الأول وفى الآخر مجرد خدامة .

- لكن السؤال ليه والدك يجوزك نفس الخدامة .

- أكيد علشان .. ولاد عادل هو عايزنى أربيهم أنا .. ممكن أربيهم لكن مش لدرجة إنى اتجوز خدامة زى دى ؟

- آكيد طبعاً يا دكتور وخصوصاً بعد ما شفت الهانم مراتك .

أعتقد أنه إنتبه لنبرة السخرية الواضحة فى صوتى فقال :

- هى زوجتى عصبية شوية لكن إنسانة مثقفة وراقية ، نشأت فى أسرة عريقة بتتكلم لغات وتعزف موسيقى ومتمكنة جداً فى التنس والسباحة .. إمرأة عصرية تشرف المجتمع اللى تتواجد فيه .

قلت كاذبة :

- أكيد .

- انا طلبت أقابل ياسمين وهطلقها وهديها كل حقوقها ولو حبت تتزوج وتترك لى أولادها أنا مستعد أربيهم .

- إنتَ تعرف عنوانها .

- لا للأسف دعوى الطلاق مفيش عليها عنوان لكن المحامى هيبحث عن عنوانها وساعتها هروح لها وأشوف أولاد أخويا .

- إنتَ مشفتهمش أبداً !

- لا للأسف لما رجعت البلد بعد وفاة والدى رحت أسأل عليهم ، فى ناس قالولى إن أمهم سابت البلد بقالها سنين ومحدش يعرف عنوانها .

تعرفى الموضوع ده على قد ما زعلنى وعمل لى مشكلة مع زوجتى لكنه فرحنى إنى هعرف مكان ولاد اخويا .. والدى قبل ما يموت بعت لى رساله وقالى إنه نفسه أرجع مصر أعيش جنبه وجنبهم .

- الله يرحمه .

كنا قد وصلنا .. نزلت من السيارة أمام بوابة كلية الأداب وشكرته على توصيله لى ودعنى بإبتسامة ثم أكمل طريقة إلى مستشفى الجامعة .

وقفت لأفكر قليلاً فى فى تلك الصور المتشابكة غير المفهومة التى إنبثقت فى رأسي دون انتظام .

تركته فى الجامعة وعدت مسرعة إلى هناء وحكيت لها كل شيئ قالت هناء التى إستمعت لى وكأنها تستمع إلى حكاية من حكايات ألف ليلة وليلة.. كانت تقاطعنى لتسأل عن إحدى التفصيلات المهمة فى الحكاية .. بعد أن أكملت حكايتى قالت :

– كنت حاسة إنك وراكى حاجه مهمة .

– طيب قوليلى أعمل إيه ؟ أسيبه وأطلق ؟

– تبقي هبلة لوسبتيه يروح من إيدك .

– طيب قولى لى اعمل إيه .. ده فاكرنى يتيمة متربية فى ملجأ وفلاحة جاهلة .. وإنى كنت بخدم أخوه .

– سيبينى وانا هرتب لك كل شيئ النهارده .

ثم إبتسمت وقد إكتسي صوتها بالشغف وكأنها تقف أما إحدى الألعاب الخطيرة فى مدينة الملاهى وقالت :

- من النهارده أنا الساحرة الطيبة وإنتِ سندريلا .

ثم قالت وكأنها قد تذكرت أمراً هاماً :

- آه صحيح إستنى .. بعد أسبوع حفلة السفارة اللى فى الدور السادس وإحنا كلنا معزومين .. من هنا ليومها هوضبك على الأخر يلا بينا .

قلت بتعجب وقد تملكتنى السعادة والرغبة فى اللعب :

- على فين ؟ هنروح فين ؟

- على أكبر محلات .. هنشترى لبس وبارفانات ومكياج .

- مكياج إيه بس إنت ناسية إن أنا محجبة .

- هتحطيه فى البيت ومش هفارقك إلا لما أرجع لك جوزك .

سرحت فى كلامها ..

إستيقظت ليلاً على صوت بكاء إبنتى .. وجدت حرارتها مرتفعة .. أرسلت فاطمة لتحضر لها دكتور خالد .

عندما رآها قال :

– متخافيش دى اللوز ملتهبة .. هى بتيجى لها كتير ؟

– لا ابداً .

– طيب انا عندى خافض للحرارة والصبح هنوديها لدكتور متخصص .

جلس معى حتى هدأت حرارتها ونامت فاطمة بجانبها حدثنى عن عادل كثيراً وعن باكينام وعن والده .. قال لى :

– غريبة عمرى ما فتحت قلبي كدا لحد .. متهيألى إنى أعرفك من زمان . ممكن أسألك سؤال ؟

– أتفضل .

- أنا بلاحظ إنك لما بتشوفيني بترتبكى جداً .. هل ده حياء ولا شيئ تانى ؟

قلت :

- معرفش .. بس أنا كدا مع أى راجل غريب عنى .

ابتسم وقال :

- لا مظنش .. عموما أنا همشي والصبح هاجى أطمن على إيمان .

فى الصباح جاء وجلس معى لتناول الإفطار ثم قام بتوصيل محمد للمدرسة وعاد به للبيت بعد انتهاء اليوم الدراسي حتى لا أترك إيمان .

طهوت له طاجن بامية باللحمة الضانى وأرز معمر .

كنا نتحدث كل ليلة فى التليفون ونظل نتحدث حتى الصباح .

إقتربنا جداً من بعض فى أيام مرض إيمان .. كانت هناء وأمل قد بدأا فى التحضير للقائى بخالد فى الحفلة .

يوم الخميس أى بعد يومين من الأن .

يوم الخميس ذهبت للجامعة لحضور بعض المحاضرات وقفت أمام المدرج فجاء زميل لى يسألنى عن بعض المراجع .. كنت اتحدث معه فـــ فوجئت بخالد قادماً من بعيد .. رآنى خالد نظر ناحيتى ثم تركنى وانصرف .. جريت خلفه لأحدثه ..

قال :

– انا مش فاضى يا مدام .. والمفروض انت كمان مش فاضية .. ياريت تشوفى مذاكرتك وبيتك وأولادك أفضل لك .

ثم انصرف غاضباً تأكدت أنه يغار علي .. كنت فى قمة سعادتى .

لكن غضبه كان قاسياً جدا لقد بدأ يتجاهلنى ويبتعد عنى .

قابلته أمام المدرج فإبتسمت وذهبت لتحيته فأدار وجهه قليلاً نحوى دون أن تلاقى عيناه نظراتى ثم أشاح بوجهه وقال :

- أهلا .

هل هو غيور لهذه الدرجة .. إن زوجته متحررة جداً فى ملابسها وهم يكثرون من الحفلات والضيوف وقد رأيتها تقبل بعض الرجال لدى انصرافهم من بيتهم وهو موجود .

ليست غيرة إذاً لقد شعر بغرابة موقفنا فأراد أن يبتعد عنى ، ربما علم من أنا فأراد أن يظهر لى غضبه واحتقاره .

سقط قلبي فى قدمى حين خطرت تلك الفكرة ببالى برغم أننى كنت متأكده أنه قريباً جداً سيعلم من أنا .

هزت رأسي لأطرد تلك الفكرة من رأسي . وقلت لا لا مؤكد لم يعلم من أنا .

كنت أراقبه غير قادرة على منع نفسي من ذلك ، أنتظره فى ساحة وقوف السيارات ، أو فى البيت أقف فى الشرفة أنتظر حضوره .. كم كنت بائسة .

تعثرت أمام المدرج فسقطت الكتب من يدى فجاء زميلى ذلك وجمعها وناولنى إياها مبتسماً وحاول أن يحدثنى فرفعت صوتى لأرد عليه بقسوة .. ندمت عليها فيما بعد .. فجاء خالد ووقف بجانبي قائلاً :

– أهلاً ياسمين .

لم أصدق تلك المشاعر المتناقضة التى اندفعت بداخلى كل هذا لمجرد أن نطق اسمى .. لماذا سمحت له بأن يسيطر على هكذا .. وأنا اعلم أن ما بيننا سينتهى بعد أيام .

هو متزوج ويحب زوجته هو لا يشعر بى على الإطلاق ، هل أصبت بالجنون .. حتى احبه حقاً ؟

لماذا يبدو صوته محبباَ لدى هكذا وكأننى اعرفه طيلة عمرى وليس من أسابيع قليلة .

إستدرت نحوه ببطء .. كنت أعلم تاثير النظر إلى وجهه حاولت ألا يحمل وجهى أى تعبير.

دخلت المدرج محاولة أن اتجاهله بقيت دقائق قليلة لكننى خرجت من المدرج مسرعة دون أن انظر خلفى وعدت إلى البيت مسرعة .. أحاول ألا افكر فيه .. لكنه يعود متسللاً ليسيطر على أفكارى .

عدت مبكراً فلم اذهب لمدرسة الاولاد

سألتنى فاطمة :

- رجعتى بدرى ليه ؟

لم أكن فى مزاج يسمح لى بسماع ثرثرتها . دخلت حجرتى حاولت أن أنام قليلاً فلم أستطع فخرجت إلى الصالة وناديت فاطمة وأخبرتها أننى سأطهو الطعام اليوم وبدأت بسلق المكرونة وتعصيج اللحم ، سأطبخ مكرونة بالباشميل ستأخذ وقتاً كبيراً ومجهوداً سأشغل نفسي بصنعها حتى لا أفكر فى شيئ .

قالت فاطمة بخيبة امل :

- لكن ده أنا مجهزه حاجة المحشي وسلقت ورق عنب وقورت الكوسة .

- طيب نعمل محشي ومكرونة.. يلا علشان نبتدى .

قالت بتعجب :

- هو فى حد هيتغدى عندنا النهاردة ؟

- لا أبداً معزمتش حد بس هو إحنا منعملش أكل كويس إلا لو كان حد هيتغدى معانا ؟

بدأت اعمل فى جلبة واضحة فتحت الراديو على إذاعة البرنامج العام .

النهاردة الاحد معاد الإعادة لبرنامج على الناصية . سمعت صوت أمال فهمى الرخيم الجميل ثم لم اسمع شيئ بعدها فقد استغرقت فى التفكير فى خالد .. تقلصت معدتى حين خطر ببالى .. لقد لاحظ إنجذابي الشديد نحوه فأشفق على .. إنه لا يريدنى أن أحبه لكننى أحبه .

وكيف لا أحبه وهو يمثل هذا الذكاء والأناقة والحنان .. أعلم أنه لا يحبنى لكننى أحبه .. لا بأس يمكننى أن أتركه بمفرده .

بعد اسبوع من الآن سيعلم من أنا ونتطلق . ثم أحمل أولادى وأعود إلى المنصورة وألتحق بالدراسات العليا هناك أو أعود للقريتى وأربي أولادى .. لازالت أرضى ومزرعتى تنتظرنى .

شعرت بالبؤس فسقطت دموعى نظرت لى فاطمة بتعجب وقالت :

– أول مرة أشوف دموعك بتنزل من البصل .

أنهيت حشو الكوسة وأنهت فاطمة لف المحشى ووضعنا الإنائين على النار ووضعت صينية المكرونة بالفرن .

ثم أرسلت عم منصور ليحضر الاولاد من المدرسة .. تركت فاطمة تتابع الطعام وقلت لها :

– بعد شويه إكشفى غطا صينية البط علشان تتحمر .

قالت فاطمة :

- البط اللى بييجى من البلد مفيش زيه .

كبرت فاطمة .. سأبحث لها عن عريس مناسب وسأتحمل كل تكاليف زواجها .

دخلت لأخذ دوش .. وقفت أمام المرآة وأسدلت شعرى على كتفى بدأت أقارن شكلى بشكل باكينام .. وتساءلت هل أنا قبيحة الشكل ؟

بعد خروجى من الحمام ارتديت البرلس ووضعت فوطة على شعرى .فوجئت بخالد يقف كان يقف أمامى فى صالة البيت ومعه أولادى .

قال عم منصور :

- الدكتور خالد الله يكرمه جابنا بعربيته .

قال خالد :

- محمد عزمني على الغدا .. بصراحة ريحة الأكل تجنن وانا طلبت منه يعزمني .. باقى لى ساعة على معاد المستشفى .

قال محمد :

- إتفضل يا دكتور أهلاً بيك الأكل هيجهز بسرعة .

تعجب خالد من وقار محمد بالنسبة لطفل فى السابعة من عمره .

قلت باضطراب :

- إتفضل .. هدخل اغير هدومى دقيقتين والأكل يكون جاهز .

دخلت فاطمة خلفى قائلة :

- اعمل إيه ؟

- تعملى إيه فى إيه ؟

كنت سعيدة ..

- اسمعى قدمى الأكل النهارده فى السرفيس الدهبي .

- حاضر .

- وحضرى السفرة .

كنت أريد أن أطلب منها وضع بعض الورود والشموع ولكنى خفت أن تظن بي شيئ .

عادت فاطمة مسرعة و قالت وهى تضرب خدها بيدها قائلة :

- بسرعة أخرجى .. أبويا قاعد معاه وممكن الدكتور يجرجره فى الكلام إنت عارفه أبويا .

إنصرفت وتركتنى لحيرتى ماذا ارتدى ؟ كان قلبي يدق بعنف .. إرتديت عبائة مغربي لونها نبيتى مشغولة بتطريز اسود على الأكمام وعلى الذيل ولبست إيشارب صغير على رأسي ووضعت غطاء الرأس الخاص بالعباءه فوقها . اكتفيت بوضع طبقة خفيفة من الكريم على وجههى وزبدة ككاو على شفتى وبعض المسك وخرجت .

رفض عم منصور وفاطمة تناول الطعام معنا فأكل معهم محمد وإيمان وأعدت فاطمة المائدة لى أنا وخالد بمفردنا .

تناول خالد الطعام بشهية نظر ناحيتى قائلاً :

- مالك ؟

ابتسمت بهدوء قائلة :

- مالى انا كويسة .

- حاسس إنك زعلانه منى .

- أكيد زعلانة لإنك كنت بتتجاهل وجودى .

- مش ممكن اتجاهل وجودك .

- طيب إيه اللى حصل ؟

- ممكن منتكلمش عن اللى حصل واللى بيحصل لانى مش عارف إيه اللى بيحصل وليه بيحصل ده .. مش عارف إيه اللى خرجنى من الجامعة وراكى وجابنى لحد هنا .. إنتِ عارفه أنا قد إيه مشغول .

لم أستطيع الرد فأكمل قائلاً :

– عارف إن كل اللى بيحصل ده غريب ومش طبيعى .. ومش مفروض أستسلم له .. أنا تعبت وأنا بحاول ابعد عنك .. حاولى إنت تبعدى .

– إنتَ عاوزنى أبعد بجد ؟

تركنى وخرج وأغلق الباب خلفه بهدوء تام .

ما عدت أعرف كيف أتنفس ، هل معنى كلامه أنه يحبنى ؟ هل هذا تصريح بالحب ، كانت نظرات عينيه حارقة ، كانت مشاعر مبهمة تنمو فى هدوء وصمت وتتجمع كما تتجمع السحب فى سماء توشك على البكاء عطراَ ، تزحف أحاسيسي برعونة لذيذة .

منحنى كلمة .. مجرد كلمة ، وإبتسامة .. مجرد إبتسامة ، مزق بهما كل دروعى وألقانى بهما جثة هامدة على قارعة الطريق.

ظللت مشوشة حتى نمت .. عندما إستيقظت كان صعباً عليّ تصديق أن خالد كان هنا وأنه قال ما قاله .

هل كنت أتخيل .. هل حقاً كانت تلك النظرة فى عينيه موجههة لى .. مؤكد أن ما حدث كان حلماً إختلط بأمنياتى فصدقته .. كان حلماً نعم .

وجدت فاطمة تشاهد التلفزيون فسألتها :

– هى الساعة كام ؟

– الساعة ٨ .. كدا تنامي وتضيعى صلاة المغرب .

– ليه مصحيتينيش ؟

– حاولت والله بس شكلك كان تعبان .

– فاطمة هو حد جه هنا وإتغدى معانا .

– اسم الله عليكى يا ست الدكتور خالد إتغدى معاكى .

إذاً لم يكن ما حدث حلماً .

فى الصباح إنتظرت خروجه فخرجت خلفه . أصابنى الرعب عندما خرجت باكينام خلفه نظرت لى بغضب وإحتقار فتجمدت تحية الصباح على شفتى .. إبتسم هو فى وجه محمد وإيمان ..

- صباح الخير يا فلاسفة العمارة .

ثم قال لى :

- صباح الخير يا دكتورة .

رددت بهدوء "صباح النور" ثم أشحت بنظرى عنها .

ركبت سيارتها وإنطلقت مسرعة ، وجدته ينظر ناحيتى ويبتسم ابتسامة خبيثة .

- ممكن توصلونى الجامعة .

نظرت له بحذر وريبة قال محمد :

- على الرحب والسعة دكتور .

قال :

- فشلت فى البقاء بعيداً .. أنا بستسلم .

سألته مرة أخرى :

- بتستسلم ؟ وهو ينفع تستسلم .

قالت إيمان :

- زى توم وجيرى يا ماما لما جيرى رفع الراية البيضا .

إحتضنها مبتسماً وقال لى :

- إنتِ يا ياسمين عندك كل إللى أنا محتاجه . انتم بتكملونى .. قبل ما اعرفكم مكنتش عايش إنتم صفعتونى وفوقتونى .

(٢٠)

في يوم الحفل تفننت أمل وهناء فى تزيينى ، ذهبت للحفل .. فى ثوب من الحرير الأسود . كان الحفل تحت إشراف صديقة أمل الموظفة بالسفارة .. طلبت منى أن أعزف مقطوعة موسيقية .

بدأت أعزف على البيانو ، كان خالد ينظر لى بإنبهار ، وقفت أمل بجانبه تحدثه . بعد العزف وجدته يطلب منى أن أرقص معه .

همست هناء فى أذنى :

- روحى متتكسفيش ده جوزك .

وفعلاً رقصت معه الفالس . قال :

- جارينى فقط فى خطواتى .

لكنى كنت قد تدربت على هذه الرقصة مع أمل التى أخبرتنى أنه خالد بارع فيها ، كانت أمل قد استطاعت أن تعرف كل شئ عنه ، وفعلاً إستطعت أن أبهره .

بعد الرقص لاحظت أن الحلبة لم يكن فيها سوانا أنا وخالد . عندما كانت تلتقى عيوننا كنت أبتسم بهدوء برغم الطبول التى تدق فى قلبى ، أما هو فكان يبتسم لى إبتسامة جميلة .

توقفت الموسيقى .. فتعجبت هل توقفت دقات قلبي وصعدت الدكتوره أمل بصوت مرتفع :

- حيوا جميعاً دكتور خالد حجازى وزوجته ياسمين على الوردانى .

نظر لى خالد وقد فغر فاه ..

- ياسمين .. إنتى ياسمين ؟!

تركته وجريت خارج السفارة . قالت هناء :

– تماماً كسيندريلا عندما تركت الحفل ، لكن الفرق أن الأمير الجميل يعرف مكانها .

سمعت طرقات على باب البيت ، فتح عم منصور .
سمعت صوت خالد من خلفى يقول :

– ياسمين لازم نتكلم ، ليه معرفتينيش ؟

– كنت هقولك ايه ؟ عموماً أدى إنت عرفت .

– ناويه على ايه ؟

– أنا بردو ؟ خفض صوته ونظر فى عينى قائلاً

– إنتِ طلبتى الطلاق .

– وانت موافق ؟

– ده كان زمان .. لو كنت أعرفك من زمان كنت إتجوزتك حتى قبل عادل مايعرفك . إحكيلى عنه كل شئ .

بكيت وإنتفضت ، جاءت زوجته خلفه تطرق الباب بعنف .. فتحت فاطمة الباب فأزاحتها باكينام بعنف وقالت بصوتها الحاد العنيف .

- هو إيه ده يا خالد هى دى ياسمين ، هى دى اللى قلتلى عليها إنها فلاحة وجربوعة .

قال خالد :

- بلاش تغلطى .

قالت باكينام :

- طلقها حالاً .

قال خالد :

- لا مستحيل ده يحصل .

يعنى إيه يعنى عايز تعيش معاها إنت بتحبها ؟

أنا فعلاً بحبها .

ثم نظر لها وقال :

- هتفضلوا انتوا الإتنين على ذمتى .

- على ذمتك ؟ إحنا الاتنين ؟ إنت صحيح فلاح جربان زيها ، حاولت أنضفك وأعملك بنى أدم ، لكن دايماً بتحن للطين اللى جاى منه .

قال لها :

- إنتِ طالق .

رأيت أمل وهناء خلفها ، أسنداها عندما سقطت مغشياً عليها ، لم أشفق عليها . قال لى :

- إنتِ ببساطتك ورقتك قدرتى تخلينى أفوق من الكابوس اللى كنت عايش فيه .

بعد أن صرنا بمفردنا قال معاتباً :

- ليه مقولتليش من زمان ، ضيعتى علينا عمر طويل .

- أقولك إيه ؟ إنت مسألتش عنى ولا عن ولاد أخوك ولا دورت عليهم .

– حمار .. أنا حمار . وبحبك أوى وبموت فيكى أعمل إيه .

– بكره ميعاد جلسة المحكمة . ذكرته .

– إنسى المحكمة والدنيا كلها وخلينا هنا ، دى ليلة فرحنا اللى إتأجلت خمس سنين .

عشت مع خالد أجمل أيام عمرى وعوضنى الله به عن أيامى الحزينه ، حصلت بمساعدته على الماجيستير والدكتوراه وأكملت حفظ القرآن الكريم . نحن الآن فى مكة المكرمة . أكتب الصفحة الأخيرة من قصة حياتى .

أنا أحج عن جدى وهو عن والده الذى ترحمت عليه كثيراً ، فبرغم ظلمه لى إلا أنه جمعنى بخالد وزوجنا ، إستطعت بفضل الله التأثير فى حياة خالد الذى صار يواظب على الصلاوات وكان يقترب من الله كل يوم أكثر من اليوم الذى قبله . رزقنا بـــولد وبنت فصار لدينا أربع أولاد أكرمنا الله بتربيتهم وتنشئتهم بطريقة

صحيحة ، كثيراً ما كنا نزور قريتنا . إشتريت بيت جدى من أخوالى وقمت بترميمه وتجديده وحولته إلى جمعية للمحافظة على القرآن الكريم وأسميتها بإسم جدى .

كنا نقضى الصيف فى فيلا الإسكندرية . قالت لى جارتى :

– إنتِ مدام حجازى ؟

قلت :

– نعم أنا مدام حجازى . وأولادى أولاد عادل وخالد حجازى .

.. النهاية ..

..عن المؤلفة ..

منى سليمان

كاتبة وشاعرة مصرية عضو اتحاد كتاب مصر من مواليد محافظة الشرقية

صدر لهامجموعة روايات

دموع الياسمين

بائع الأحلام المتجول

رجل من درب التبانة

وعد ومكتوب

عائد من مواكب الراحلين

نساء من زحل

ورواية دموع الياسمين هى أولى أعمالها المنشورة